37

الإنساني

صباح الخير يا لبنان !

من الميدان : لبنان | العراق | الأراضي المحتلة | السودان | الصومال

تصدر كل ثلاثة شهور عن اللجنة الدولية للصليب الأحمر

ICRC

غير مخصصة للبيع | العدد السابع والثلاثون | خريف 2006

رسم نُشر في جريدة «السفير» اللبنانية خلال اجتياح لبنان عام 1982. بريشة الفنان الفلسطيني: **ناجي العلي**، (1937 – 1987)

ملف إنساني شديد التعقيد

في الثاني عشر من يوليو/ تموز الماضي، أضيفت حلقة جديدة إلى حلقات العنف الذي يجتاح منطقة الشرق الأوسط، عندما اندلعت الأعمال العدائية وانهمر القصف الكثيف الذي شمل معظم أنحاء لبنان، وشمال إسرائيل، على مدى ثلاثة وثلاثين يوما خطفت أنفاس العالم.

على صعيد الواجب الإنساني، تمكنت اللجنة الدولية للصليب الأحمر، بتعاونها مع الصليب الأحمر اللبناني البطل، من القيام بدور بارز في تقديم المساعدات للنازحين، وفتح الممر الإنساني. وفور وقف إطلاق النار تحركت قوافل إغاثتها إلى مدن وقرى الجنوب اللبناني لتقديم العون للمحاصرين، والمستشفيات وإصلاح وترميم شبكات المياه والكهرباء.

لكن ما حدث في لبنان، على الرغم من توقف قعقعة السلاح، لم يكن له أن يمر بغير أن يخلف أثرا غائرا.

إنها الجروح تتراكم فوق الجروح في منطقة مثخنة في معظم أنحائها: في فلسطين والعراق والصومال والسودان وصولا إلى أفغانستان، ثم ها هو لبنان؛ إضافة إلى تبشير البعض بمستقبل غامض للعديد من الأزمات والقلاقل الإقليمية والداخلية المنذرة في أكثر من بلد وعلى أكثر من صعيد.

فيما يخص العراق، على سبيل المثال، نقلت لنا الأنباء مؤخرا إحصاءات وأرقاما مفزعة حول أعداد الضحايا الذين سقطوا في صفوف العراقيين منذ اندلاع الحرب على العراق في مارس/آذار 2003. وقد يختلف البعض حول دقة هذه الأرقام أو صحتها، لكن لا أحد هنا أو هناك، بلا استثناء، ينكر مدى هول وضخامة الكارثة التي تعرض ويتعرض لها الشعب العراقي. إذ أن ما تتناقله الصحف ووسائل الإعلام على مدار الساعة عن هذا البلد المنكوب يحفل بالمئات من الحكايات الوحشية، وبالقصص الحزينة التي تتسلل إلى مهاجع الناس وتحتل مساحات أحلامهم ليجدوا الفزع مجسدا أمامهم؛ ويشهدوا بأم أعينهم آثار ما يمكن أن يحدثه العنف في الإنسان! لقد أصبح العراق جرحا متواصل النزيف، لا يندمل، يوجع قلب كل من يقطن هذه المنطقة، ويقض مضاجع البشر جميعا، بوصفه كابوسا أسود رهيبا!

في محاولته للحاق بتلابيب هذه الأزمات، يجد العمل الإنساني والحقوقي نفسه عالقا في تعقيدات تحول دونه والوصول إلى المستضعفين الذين يدفعون هم، بالدرجة الأولى، ثمن هذا التردي! وهذه التعقيدات ليست سوى محصلة لأوضاع دولية وإقليمية ومحلية تتشابك جميعها لتعرقل محاولات وضع الحلول الإنسانية لهذه الأزمات المستحكمة، وتضع البشر جميعا أمام حالة من العجز، والتقصير.

العمل الإنساني، يقول البعض: ماذا بوسعه أن يفعل؟ وهل بمقدوره أن يقف ضد هذه الإرادات المجتمعة على إحباط أي مسعى عملي أو قيمي أو أخلاقي؟ إنه يصرخ في برية لا يعيره فيها أحد اهتماما، فهو أيضا أعزل، شأنه شأن الضحايا الذين يسعى للوصول إليهم!

ولا شك أن من يتبنى هذه النظرة يستند إلى حقيقة ما يراه من سواد مطبق في الصورة التي نشهدها الآن؛ لكن .. للإنسانيين دائما رأي آخر.

إنهم ينطلقون في أداء مهمتهم من قاعدة واجبهم العملي الذي يحتم عليهم أن يجتهدوا في البحث دائما عن نقاط مضيئة مهما استبدت الظلمة الحالكة من حولهم، وهي النقاط التي يسعون للنفاذ من خلالها إلى من هم بحاجة إليهم من الضحايا والمستضعفين.

هذا هو ما يؤرقهم، كما أنه بالذات مجال جهدهم المتواصل، لمعالجة ملفهم الإنساني شديد التعقيد ●

"الإنساني"

الانساني

تصدر كل ثلاثة شهور عن
اللجنة الدولية للصليب الأحمر

المدير المسؤول **تمارا الرفاعي**

مدير التحرير **محمد سيف**

المستشار القانوني **د.عامر الزمالي**

المراسلات : 31 شارع جدة، حي المهندسين، القاهرة 12311
تليفون 7619332 • 3379282 فاكس 7618487
البريد الإلكتروني: csc.cai@icrc.org

الآراء الواردة بهذه المطبوعة لا تعبر إلا عن وجهة نظر أصحابها

ICRC

اللجنة الدولية للصليب الأحمر منظمة مستقلة محايدة، أنشئت عام 1863. مهمتها إنسانية بحتة، تتمثل في حماية أرواح ضحايا الحرب وكرامتهم وتقديم المساعدة لهم. تقوم اللجنة بتوجيه وتنسيق أنشطة الإغاثة التي تنفذها الحركة الدولية للصليب والهلال الأحمر. وتعمل على ترويج وتدعيم القانون والمبادئ الإنسانية العالمية.

AFP

فتاة لبنانية تطل من فرجة أحدثتها غارة جوية ليلة الواحد والعشرين من يوليو/تموز 2006 على بيتها في قرية «سكاسكية» بجنوب لبنان.

صباح الخير يا لبنان 05
تضامن اللبنانيين المذهل 08
الأمم المتحدة وتسييس العمليات الإنسانية: لبنان ليس آخر التحديات 10
نعم ما زلت مؤمنا 14
القنابل العنقودية والذخائر غير المنفجرة: خطر يهدد اللبنانيين 16
يا ويلاه ع الفقير يا بنتي! 18
التمييز بين الضحايا : عن أي أخلاق يتحدث هؤلاء ؟ 22
الصليب الأحمر اللبناني : إنقاذ الأرواح ورد الاعتبار لكرامة الناس 26
صور : صيف ساخن وحزين ! 30
رسائل من المجهول: اطمئنوا، ما زلنا أحياء ! 34
مات باهر 36
المشهد الفلسطيني : قراءة إنسانية 37
اتفاق أبوجا : خطوة لتسوية نزاع دارفور 40
دراما الحرب الصومالية : تناسل المآسي الإنسانية 43
الاختفاء القسري : وصمة في جبين العالم 46
زمن قانا 48
هل نحن جميعا بحاجة إلى دعم نفسي ؟ 50
أركان العالم 53
بلا رتوش: أشلي 56
إصدارات 58

صباح الخير يا لبنان !

فور إعلان وقف إطلاق النار في لبنان، انطلقت قوافل تابعة للجنة الدولية في سعيها للوصول إلى قرى ومدن عُزلت عن العالم الخارجي لمدة أسبوعين، وهي محملة بالمواد الغذائية والمستلزمات الطبية والوقود لمولدات الكهرباء.

في الرابع عشر من أغسطس/ آب، وعند الساعة الثامنة صباحًا بالتوقيت المحلي، دخل وقف إطلاق النار في لبنان، بعد انتظار طويل، حيز التنفيذ. جاء السكون كما لو كان بسحر ساحر، ليحل محل دوي القذائف الذي استمر على مدى خمسة أسابيع في لبنان وجنوبه. بحسب توصيف ورد في تقرير للجنة الدولية للصليب الأحمر.

على أن هذا السكون السحري لم يعبر في مضمونه سوى عن فاصل بين لحظتين، إذ تحفل الآن مرحلة ما بعد انتهاء الأعمال العدائية باستحقاقات لا تقل خطورة عن تلك التي أوقفت أنفاس العالم بأسره خلال ما ينيف عن الشهر من أعمال حربية احتلت صدارة المشهد الإنساني والإعلامي على السواء.

في استطراد ذات التقرير لوصف ما حدث عقب وقف إطلاق النار، ذكر أنه: "مثلما تنبأ به ذوو الخبرة العارفون بأحوال الناس، شهدت الطرقات المؤدية من بيروت إلى الجنوب ازدحامًا دام عدة ساعات. وبدأت السيارات تصطف عند المعابر الضيقة التي فتحت على الطريق الساحلية بين صيدا وصور، وقد تكدّست على أسطحها فرش الإسفنج وفاضت بالأغراض الخاصة. وبفضل بعض الإصلاحات المؤقتة، تدافع الناس ولم يعد حتى نهر الليطاني يشكل عقبة أمامهم. •••

AP

كان أهالي الجنوب الذين فروا بسبب القتال متلهفين لمعرفة ما أصاب منازلهم وأحياءهم من أضرار. وقد استطاع معظم سكان مدينة صور العودة سريعًا إلى شققهم ومنازلهم، بالرغم من عدم توفر التيار الكهربائي والمياه على الدوام. ولكن كان الأمر مختلفا تمامًا بالنسبة للعديد من الأشخاص الذين غادروا مدنهم وقراهم الواقعة أقصى الجنوب.

وقد اختلفت نسبة الدمار إلى حد كبير بين منطقة وأخرى. ففي حين تكبدت محطات الوقود والمنشآت الصناعية والمحلات التجارية والمنازل خسائر فادحة، لم تنجُ المستشفيات والمستوصفات من أتون المعارك. كما أصابت القنابل دارًا للأيتام تديره مؤسسة خيرية دينية محلية وسوّته بالأرض. إضافة لما تناثر بالقرى والأحياء السكنية من ذخائر غير منفجرة سقطت في الأيام الأخيرة من القتال. وقد وجدت بعض هذه الأجهزة القاتلة أمام المستشفى والفرع المحلي للصليب الأحمر اللبناني، في حين ظل الكثير منها مطمورًا تحت أنقاض المباني المهدمة.

وفور إعلان وقف إطلاق النار، انطلقت قوافل تابعة للجنة الدولية في سعيها للوصول إلى قرى ومدن عُزلت عن العالم الخارجي لمدة أسبوعين، وهي محملة بالمواد الغذائية والمستلزمات الطبية والوقود لمولدات الكهرباء. وكان الوقود من المواد الأكثر طلبًا من جانب السكان الذين كان عليهم البقاء أحياء بدون أن يتمكنوا من ضخ الماء لأيام عديدة. وربما برز نقص في المواد الغذائية في بعض الحالات، إلا أن معظم أهالي القرى تمكنوا من البقاء على قيد الحياة بفضل ما كانوا قد ادخروه من مؤن.

النازحون ومشكلات العودة

ومع عودة آلاف النازحين إلى المدن والقرى، قام مندوبو اللجنة الدولية بتقييم لاحتياجات العائدين وعملوا على توزيع المساعدات على أكثر السكان احتياجًا، بمن فيهم المسنون الذين لم يبرح العديد منهم مكانهم خلال النزاع.

فعقب وقف العمليات الحربية بدأ الأشخاص النازحون في لبنان والأشخاص الذين لجأوا إلى سوريا يعودون إلى ديارهم في جنوب لبنان وضاحية بيروت الجنوبية ومناطق أخرى. وقد وجد معظم العائدين أنفسهم بدون مأوى ولا مواد أساسية يومية كالماء والطعام والرعاية الطبية.

وتسببت العمليات العسكرية المباشرة في تدمير مئات البنايات السكنية جزئيًا أو كليا، وقلّت المياه كما لحقت أضرار بالمنشآت الكهربائية وأصبحت المراكز الطبية في حاجة ماسة إلى الإمدادات الطبية.

وكانت اللجنة الدولية قد شرعت في تقديم مساعدات الطوارئ للمتضررين منذ بدء العمليات العسكرية مكثفة بشدة جهودها للإغاثة، بالتعاون مع الصليب الأحمر اللبناني في جميع أرجاء جنوب لبنان وسهل البقاع، وأيضا في عمليات الإغاثة التي قدمتها بضاحية بيروت الجنوبية، وهو الأمر الذي تواصل على نحو حثيث بعد وقف العمليات العدائية.

وللمرة الأولى منذ وقف هذه العمليات، حصل حوالي أربعمائة ألف شخص يعيشون في ضاحية بيروت الجنوبية على ماء الشرب من جديد. وأصبحت

ICRC

متطوعو الصليب الأحمر اللبناني أثناء قيامهم بجانب من عملهم البطولي. ورئيس اللجنة الدولية يعبر نهر الليطاني أثناء احتدام العمليات العدائية.

ICRC

محطة المياه القائمة في مشرف تقدم لهم اثني عشر ألف متر مكعب من المياه يوميًا لتزويد مناطق برج البراجنة وحارة حريك وخلدة والشياح. وقد ركّبت اللجنة الدولية مولدًا ضخمًا (بقوة 700 كيلوفولت) مع كافة المعدات اللازمة لتشغيل آبار المياه الأربع التابعة للمحطة. ويسمح المشروع الذي ينفذ بالتعاون مع مصلحة مياه بيروت وجبل لبنان بزيادة كميات الماء المزودة يوميًا في المناطق المتضررة من العمليات العسكرية الأخيرة، علمًا أن أكثر من نصف مليون شخص يعيشون في الضاحية الجنوبية من بيروت. وثمة مشروع آخر مماثل يجري تنفيذه في الديشونية ليساعد في تزويد مناطق الضاحية المتبقية بماء الشرب.

وقد تلقى النازحون والعائلات التي تستضيفهم والأشخاص المعوزون مساعدات قدمتها اللجنة الدولية بواسطة خدمات الطوارئ الطبية في جمعية الصليب الأحمر اللبناني في الضاحية الجنوبية (حي السلّم، والمريجة)، وبواسطة الحملة المدنية للإغاثة في بيروت (خندق الغميق، وحي الكولا).

وقد تضمنت مساعدات الإغاثة التي تقدمها اللجنة الدولية الطرود الغذائية وأدوات النظافة وأدوات المطبخ والأغطية وغير ذلك من مستلزمات ضرورية لحياة الناس اليومية.

دعم المرافق الطبية

وتواصل اللجنة الدولية عملها في دعم مرافق طبية تديرها جمعية الصليب الأحمر اللبناني وغيرها من المؤسسات. ولما كان النقص في الطاقة الكهربائية لا يزال يعيق عمل الخدمات الطبية، زودت اللجنة الدولية مستشفى صلاح غندور في بنت جبيل بمولد بطاقة 150 كيلوفولت للمساعدة على مواصلة خدمات الطوارئ. وقد زود أيضًا المستشفى بما يكفي من الإمدادات الطبية لمعالجة الأمراض المزمنة لفترة الثلاثة أشهر القادمة.

كما قامت اللجنة الدولية بتزويد الصليب الأحمر اللبناني بالمواد الطبية لمساعدته في تشغيل خدمات الطوارئ الطبية، ذلك أن الجمعية تدير القسم الأعظم من خدمات سيارات الإسعاف في البلاد. وشملت الإمدادات الضمادات للحروق، والإمدادات الطبية لمعالجة جروح الحرب، ومعدات الإنعاش، وأكياس الإسعافات الأولية وغيرها من المواد.

هذا وتستمر اللجنة الدولية في الاستجابة لأكثر احتياجات الجرحى والمرضى إلحاحًا استنادًا إلى عمليات تقييم منتظمة تجريها بالتعاون مع جمعية الصليب الأحمر اللبناني والسلطات الطبية المحلية.

ففيما تتواصل الجهود التي يبذلها اللبنانيون الآن لإعادة إعمار البلاد وتجاوز ما حدث من تخريب وإتلاف، تتواصل أيضا جهود الإنسانيين للوصول إلى أكثر الفئات احتياجا من أجل رفع المعاناة التي خلفتها حرب تجاوزت حدود ضروراتها العسكرية مخلفة دمارا واسع المدى بالمدن والقرى والبنى التحتية في هذا البلد ●

ICRC

سيتمكن لبنان في المستقبل القريب من استعادة وإدارة نظام إنتاج وتوزيع المياه، إذا لم تستأنف العمليات العدائية. فلبنان بلد يمتاز بتنظيم جيد ولديه طاقات وقدرات هائلة لاستعادة عافيته.

تضامن اللبنانيين المذهل

ICRC

خلال العمليات العدائية التي تواصلت لما يزيد على الثلاثين يوما في لبنان، حاولت اللجنة الدولية أن تتبنى، قدر المستطاع، نهجًا متكاملًا في مجالات الماء والصحة والغذاء وركزت، حتى حلول وقف إطلاق النار، على الاهتمام بالنازحين الذين بلغ عددهم قرابة المليون شخص، هربوا من جنوب البلاد ولجأوا إلى بيوت أقاربهم أو إلى أماكن ومبان عامة وبعضهم إلى سورية. وكنا نتأكد أيضًا من أن الذين يستقبلون النازحين قادرون على تغطية حاجاتهم. وضمن هذا الإطار، قامت اللجنة الدولية، بواسطة الشاحنات، بتوزيع الماء والطعام والمواد الأساسية في العديد من التجمعات بمساعدة الصليب الأحمر اللبناني.

وبعد الرابع عشر من أغسطس/آب، فاجأتنا العودة شبه الفورية للغالبية العظمى من النازحين إلى ديارهم والتي أجبرت اللجنة الدولية على إعادة النظر في استراتيجية عملها في الجنوب. لذا أصبحنا نهتم اليوم بصورة خاصة بالذين عادوا إلى بيوتهم أو وجدوا مأوى بالقرب من منازلهم المدمرة. ونوزع بانتظام طرودًا عائلية تحتوي على الطعام والمواد الأساسية مثل معدات الطبخ والأغطية.

تضامن يساعد على تجاوز المحنة

أما فيما يتعلق بالماء فهنالك حالات طوارئ قصوى، ولكن البلديات مهيأة جيدًا لمواجهتها. فالفلاحون يملكون الجرارات والصهاريج لريّ حقولهم ولكنهم لا يستطيعون الذهاب إليها بسبب الذخائر غير المنفجرة، فيوزعون الماء على من هم بحاجة إليه. وفي هذا السياق أحب أن أقول أن ما أذهلني في لبنان هو التضامن العجيب بين الناس.

هذا التضامن هو الذي سمح للجنة الدولية بالتركيز على إصلاح شبكات توزيع المياه ونحن نعمل سوية مع السلطات المسؤولة لاسيما في الجنوب. فنتولى، من جهة، تركيب مولدات في المواقع الاستراتيجية من أجل ضخ الماء وإرساله إلى أماكن أبعد، ولدينا، من جهة أخرى، فرق متنقلة للإصلاح يعمل فيها مهندس وعمال يستخدمون مجرفة آلية وآلة ضاغطة. وتكشف هذه الفرق على قنوات المياه وتقوم بإصلاح الثقوب بالسرعة الممكنة. ونأمل بذلك أن نتمكن من إصلاح الشبكة خلال شهرين أو ثلاثة أشهر.

لقد حصل الدمار الأكبر في الجنوب بين

نهر الليطاني والحدود مع إسرائيل وكذلك صعودًا نحو مرجعيون، وفي سهل البقاع بدرجة أقل. إن شبكة المياه في لبنان معقدة جدًا والوصلات بين المراكز كثيرة وهذا يعني أن أي عطل يطرأ في مكان معين قد تظهر آثاره على قسم كبير من الشبكة.

التدمير وآثاره وعدم احترام المتطلبات الإنسانية

ولا يمكن القول أن إمدادات المياه استُهدفت بشكل خاص إلا أن الأضرار تتعلق بتدمير المنشآت الكهربائية. فمحطات توزيع المياه تحتاج إلى التغذية بالطاقة وإذا انقطع التيار الكهربائي، توقف توزيع المياه. وقد دفع هذا الوضع باللجنة الدولية إلى تدخل كثيف في مجال التزويد بالطاقة لاسيما من خلال تسليم الوقود اللازم للمولدات المتوفرة أو تأمين مولدات في الأماكن التي تفتقر إليها.

ويجدر بالذكر أن تدمير أنابيب المياه حدث نتيجة عمليات قصف الطرقات والجسور. فغالبًا ما تمتد الأنابيب على طول الطرقات أو تعبر الجسور ولهذا يبدو أن مثل هذا التدمير لشبكة المياه كان بطبيعة الحال أثرا جانبيا لتدمير بنى أخرى كانت مستهدفة. وعلى صعيد القانون الدولي الإنساني من الواضح أن الهجوم على الممتلكات الضرورية لبقاء السكان المدنيين على قيد الحياة محظور، ومن المعروف أنه إذا قصفت محطة لتوليد الكهرباء من أجل قطع التيار الكهربائي في موقع ما، ستنقطع بالتأكيد المياه في الأحياء السكنية أو القرى. فانقطاع الماء هو جزء من الأضرار الجانبية التي ينبغي ألا تكون غير متناسبة مع الهدف العسكري المنشود. ذلك أن القانون الدولي الإنساني يوازن بين المتطلبات العسكرية والاعتبارات الإنسانية. ومن ثم يتوجب على القيادات العسكرية والمقاتلين وكل الذين يشاركون في العمليات العدائية مشاركة مباشرة أن يحترموا القواعد المتعلقة بسير العمليات العدائية.

ومن السهل تصور النتائج التي يتحملها السكان المدنيون على الصعيد الإنساني. فعندما تكون معتادًا على الحصول باستمرار على مياه ذات نوعية جيدة وفجأة تنقطع عنك هذه المياه، يصبح الوضع صعب التحمل خاصة أن الماء ليس موجودًا بوفرة في لبنان.

ولحسن الحظ أن هذا التدمير حصل في أماكن كان السكان قد هجروها. لذا لم تكن

إيف إتيان*

النتائج المباشرة مهمة إلا بالطبع بالنسبة إلى الذين ظلوا محاصرين في قراهم أثناء القصف. وقد وردتنا شهادات مؤثرة عن أشخاص أمضوا عدة أيام بدون طعام أو ماء. لذا فإن التحديات التي واجهناها كانت كثيرة وتوجب علينا، بداية، إطلاق عملية كبيرة، وخاصة إنشاء بنية لوجستية، ولم يكن لدينا سوى بعثة صغيرة ذات إمكانات قليلة، في بلد تعرض لعمليات قصف شديدة ولم تكن هذه المهمة بالسهلة. وكانت أكثرية التحركات، سواء جوًا أو بحرًا أو برًا صعبة وغالبًا مستحيلة.

التحدي الأكبر

ثم كان التحدي الأكبر هو الوصول إلى القرى. وعندما تمكنا من ذلك خلال الأيام الأولى من العمليات العدائية سجلنا عددًا كبيرًا من الاحتياجات، الأمر الذي أثار آمال السكان. ولكن يجب أن أعترف أن هذه الآمال غالبًا ما خابت لأسباب تتعلق بالأمن. ذلك أن السلطات العسكرية الإسرائيلية نادرًا ما أعطت الضوء الأخضر لتحركاتنا في أماكن عمليات قواتها. وهذا ما تسبب بإحباط كبير لدى المندوبين لأن الناس كانت تنتظرنا.

أما فيما يتعلق بالمستقبل فسيتمكن لبنان في المستقبل القريب من استعادة وإدارة نظام إنتاج وتوزيع المياه، إذا لم تستأنف العمليات العدائية. فلبنان بلد يمتاز بتنظيم جيد ولديه طاقات وقدرات هائلة لاستعادة عافيته. فعلى سبيل المثال أذهلتني رؤية تجار يعودون إلى قراهم في نفس يوم وقف إطلاق النار، ويفتحون محلاتهم بعد ساعات قليلة من وصولهم منتظرين على الرصيف وصول الزبائن وهم يدخنون النارجيلة! قيل أنهم اعتادوا الحرب ولكن هذا غير صحيح على الأقل بالنسبة إلى سكان الجنوب الذين لم يشهدوا من قبل عمليات قصف بهذه الكثافة.

(*) مسؤول قسم المساعدات في اللجنة الدولية للصليب الأحمر.

الصليب الأحمر اللبناني منظمة تدعو للإعجاب

لقد كان أحد أهم أسباب توفيق عملنا يكمن في التعاون بيننا وبين الصليب الأحمر اللبناني، فالصليب الأحمر اللبناني هو شريك اللجنة الدولية في لبنان. وتجدر الإشارة إلى أنه واحد من الكيانات القليلة في البلاد التي لا تحمل طابعًا طائفيًا ولا سياسيًا وهذا ما قاله لنا جميع محاورينا سواء أكانوا سنة أم شيعة أم مسيحيين:

"نحن نثق بالصليب الأحمر". وهذه النظرة هي أساسية بالنسبة إلى اللجنة الدولية.

لقد عملنا مع الخدمات الطبية والاجتماعية لهذه الجمعية الوطنية وخاصة مع خدمة الطوارئ الطبية المسؤولة عن إدارة 80٪ من سيارات الإسعاف في لبنان. وكان من حسن حظي أن قضيت نصف يوم في مركز إدارة سيارات الإسعاف في بيروت وهذه تجربة لن أنساها. ففي كل دقيقة يمكنك أن تعرف أين هي هذه السيارة ومن هو سائقها وما هي وجهتها ومن يوجد على متنها. وهذا إنجاز رائع نظرًا إلى الأحداث وحالة الحرب. وكان قرارنا بدعم هذه الخدمة منذ البداية قرارًا صائبًا. فقد أمّنا لها البنزين، والآن نتولى استبدال السيارات التي لم تعد صالحة. والأهم من ذلك أننا رافقنا بعض سيارات الإسعاف في أماكن خطرة من أجل منحها حماية إضافية بفضل وجود اللجنة الدولية للصليب الأحمر. وأود هنا أن أحيّي ذكرى المسعف الذي قتل أثناء أداء خدمته وأؤكد على اندفاع المسعفين وشجاعتهم.

لقد ساعدنا كذلك قسم الشباب في الصليب الأحمر اللبناني. فتولى توزيع الطعام خاصة في منطقة صيدا وفي بيروت وكان التنظيم ممتازًا إلى حد أننا كنا نجد أحيانًا صعوبة في تجديد تموينهم بالسرعة اللازمة! وأغلبية المتطوعين هم طلاب جامعيون يتكلمون عدة لغات وملتزمون تمامًا في أدائهم لمهمات الصليب الأحمر، يفخرون بحيادهم وعدم تحيزهم ويمكن أن تطلب منهم تحقيق الكثير من المهام. وكان ينبغي حتى الحذر أحيانًا لأن بعضهم كان مستعدًا لتحمل مخاطر هائلة. إن رؤية هذا الاندفاع والرغبة في العمل يثلج قلب من خبر مثلي الكثير من الحالات المأساوية. لقد عملنا يدًا واحدة وحافظنا على بشاشتنا وكنا نشعر بسرور كبير بالرغم من الأحداث المؤلمة. لا بد أن أعبر هنا عن إعجابي بهؤلاء الشباب ●

لبنان ليس آخر التحديات

الأمم المتحدة وتسييس العمليات الإنسانية

خالد منصور*

تحدث الشاب الوسيم حليق الذقن بغضب مكتوم عن فشل الأمم المتحدة التي صارت "أداة في يد الولايات المتحدة وإسرائيل" في إيقاف القصف الإسرائيلي للبنان في صيف 2006. قال، لا أمل سوى في المقاومة، ثم جلس بكبرياء ونظرات عينيه تعبر مبنى بيت الأمم المتحدة في ميدان رياض الصلح في وسط بيروت، تشق ربما عتمة الليل نحو جنوب لم تمر عليه سوى عدة ليال بعد أن راح أخوه ضحية قصف إسرائيلي كان قد هدأ في هذا المساء. هدأ القصف ربما لأن قرابة الثلاثين معظمهم من الأطفال لم تكن أجسادهم قد واراها التراب بعد أن أخرجهم رجال الصليب الأحمر اللبناني صباح نفس اليوم من تحت أنقاض منزل في قانا انهار على المحتمين به متصدعا تحت وطأة صاروخ إسرائيلي.

هدوء نسبي في حرب كانت تدخل يومها الثامن عشر حل على لبنان، ربما خشية إسرائيلية من الرأي العام العالمي المذهول أمام مشاهد جثة بنت صغيرة وولد أصغر يلفهما تراب الأنقاض محمولين في أيدي رجال الإنقاذ هامدين. وأين؟ في قانا؟ مرة أخرى تتصدر هذه القرية الجبلية الصغيرة الجميلة موجز أنباء العالم، مرة أخرى وبعد عشر سنوات من وقوع نحو مائة مدني لبناني ضحية قصف إسرائيلي آخر. مرة أخرى وتدعي إسرائيل أن القصف كان ردا على صواريخ موجهة من "إرهابيين" نحو شمال إسرائيل. مرة أخرى يضيع مدنيو لبنان في حومة ادعاءات متبادلة ومرة أخرى إدانات وتنديد ومرة أخرى يحج الصحفيون وكاميرات التليفزيون إلى مشاهد جنازات جماعية في قانا. مرة أخرى!

هدأت إسرائيل عن القصف يوما أو بعض يوم بعد ما صار في قانا بيد أن ستة عشر يوما آخرين كان لهم أن يمروا قبل أن يتوقف إطلاق النار – منهم تسعة أيام كانت منظمات الأمم المتحدة الإنسانية عاجزة في وجه رفض إسرائيلي ضمان الحماية أن ترسل أي قوافل إغاثة إلى الجنوب.

الشاب الغاضب كان من جنوب لبنان جالسا وسط عشرين من الناجين من بنت جبيل وعيترون وعيتا الشعب، قرى باتت معروفة في وسائل الإعلام بعد أن صارت أحياء كاملة فيها ركاما بفعل آلاف طلقات المدفعية والصواريخ الإسرائيلية في مواجهة جيش الدفاع الإسرائيلي مع مقاتلي حزب الله الذي أمطر شمال إسرائيل بدوره بعدة آلاف من صواريخ الكاتيوشا. وكنت أجلس وسط ثمانية من عمال الإغاثة اللبنانيين ومن الصليب الأحمر الدولي ومن الأمم المتحدة، وكاميرتان من تليفزيون المنار التابع لحزب الله تصورنا جميعا نتبادل الحديث على الهواء في الحديقة المواجهة لمبنى الأمم المتحدة الذي اقتحمته حشود متظاهرين غاضبة منذ ساعات وحطمت معظم الطابق الأرضي احتجاجا على قتل الصواريخ الإسرائيلية لمدنيين لبنانيين.

الأمم المتحدة ومجلس الأمن

ماذا كان هؤلاء المتظاهرين اللبنانيون يعتقدون أنهم يحققون وهم يتجاوزون الحواجز الأسمنتية الرابضة أمام المبنى الزجاجي ثم يعتلون الأسوار الحديدية وهم يقذفون بأحجار ضخمة أدوار المبنى الأولى؟ داخل المبنى كانت صفارات إنذار الحريق تعوي، تقول لي وأنا في طابقي الخامس، وآخرين في طوابق أخرى، أن نسرع هربا إلى قبو البناية. وهناك في مشهد مخيف شاهدنا على شاشات التليفزيون ما نقلته كاميرات مصورين كانوا في معية المتظاهرين المدمرين لكل ما وقعت عليه أيديهم في الطابق الأرضي من مبنى الأمم المتحدة. كنا نسمع صرخات المحتجين ودقات أقدامهم فوقنا ونرى ما يفعلون على شاشات التليفزيون!

نظر زميل إلى آخر في ذهول قائلا: "انظر إنه مكتبك هذا الذي يحطمونه". متظاهرون لهم أن مجلس الأمن ما هو إلا مؤسسة في إطار الأمم المتحدة يخضع قرارها لتوافق 15 دولة عضوًا وبركة الخمسة الأعضاء الدائمين منهم، وأن هناك أمينا عاما يستصرخه منذ أيام أن يتحرك وإلا فقد مصداقيته؟ هل يجدي أن أتحدث عن الدور المهم والمحايد قدر الإمكان والذي تلعبه منظمات الأمم المتحدة للإغاثة لإنقاذ أرواح المدنيين ومدهم باحتياجاتهم الأساسية؟ هل هناك حقا فصل بين الدور السياسي الذي تلعبه الأمم المتحدة من خلال الأمانة العامة ومجلس الأمن وبين دورها الإنساني والقانوني الذي تلعبه من خلال منظمات التنمية والإغاثة ومحكمة العدل الدولية وغيرها من الأجهزة؟

لا شك أن هناك فصلا وظيفيا يمكن الاحتجاج به من خلال قراءة مهام ولوائح كل منظمة بيد أن الوظائفية لا تقنع الجماهير والمتظاهرين كما أنها في الحقيقة تتجاهل الواقع السياسي الدولي الذي تتداخل فيه مصالح الدول وخاصة الكبرى منها في أداء ومهام كل المنظمات الدولية!

ولا شك أيضا أن أتباع الواقعية السياسية على الناحية الأخرى يعترفون بأن الدور الإنساني الذي تقوم به منظمات عدة وخاصة منذ نهاية الحرب العالمية الأولى هو دور يتم القيام به في وسط نزاعات عسكرية ويتأثر بمصالح وأهداف الأطراف المتصارعة من آخرون في قطاع غزة المتحول إلى سجن كبير اعتلوا أسوار أحد مكاتب الأمم المتحدة في نفس الأسبوع وعاثوا فيه فسادا.

دار كل هذا أو بعضه في ذهني وأنا أستمع إلى أنات غضب الناجين وانتقاداتهم الحادة لما وصفوه بعجز الأمم المتحدة وانحيازها. بالفعل كان مجلس الأمن ما زال يحاول أن يتوصل إلى وقف لإطلاق النار ومفتاحه المفقود أن يكون مرضيا لكل الأطراف. هل يجدي أن أقول

(*) كاتب مصري ومستشار للإعلام بالأمم المتحدة والمقالة تعبر عن وجهة نظره الخاصة.

إن المنظمات الكبرى التي تلعب أدوارا سياسية وأخرى إنسانية في نفس الوقت، خاصة منظمات الأمم المتحدة، ليست منظمات صماء وليست مستقلة عن إرادة الدول الأعضاء.

ناحية أو تلك المعنية من ناحية محاولا قدر الإمكان أن يتنكب مباديءَ الحياد وأولوية التدخل الإنساني وعدم الانحياز إلى أي الأطراف.

وفي كل الأحوال يجب أن يقتنع من هم على الطرف الآخر من الجهود الإنسانية ـ الضحايا المدنيون في لبنان مثلا ـ أنه لا مؤامرة هناك بالضرورة وأن منظمات الإغاثة تسعى في جانب كبير من جهودها إلى تبني الحياد والعمل من أجل تخفيف وطأة الأعمال العسكرية ولكنها في نفس الوقت لا تعمل في فراغ وتتأثر لا شك بمصالح الدول ولا سيما الكبرى منها. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن المنظمات الكبرى التي تلعب أدوارا سياسية وأخرى إنسانية وخاصة الأمم المتحدة ليست منظمة صماء وليست منظمة مستقلة عن إرادة الدول الأعضاء.

بدايات التدخل الإنساني الدولي قبل الأمم المتحدة

تستبعد هذه المقالة دور اللجنة الدولية للصليب الأحمر حيث أنها منظمة لا تدعي لعب أي وظائف سياسية بل تركز في الأغلب على الجانب الحقوقي وإلى درجة أقل جانب المساعدات الإنسانية. ما أسعى إلى الحديث عنه هو الإقرار بوجود وتضارب مصالح وأولويات عندما يسعى طرف دولي (حكومة أو تجمع حكومي إقليمي أو الأمم المتحدة) إلى لعب دور في تخفيف المعاناة على المدنيين في نفس الوقت الذي يلعب فيه دورا في محاولة إنهاء نزاع ربما يكون هو أو بعض أجزائه (دولة عضو مثلا) طرفا فاعلا أو معنيا به.

وشهدت بداية القرن العشرين أول مثال في العالم الحديث ربما لتداخل الأهداف السياسية مع المهام الإنسانية عندما سعت الولايات المتحدة الأمريكية لمساعدة بلجيكا عقب الحرب العالمية الأولى. كانت المبادرة الأمريكية خالية تقريبا من أي أهداف سياسية مباشرة سوى جلب الاستقرار لضحايا الحرب وبالتالي لأوروبا ولكن مجهود تال من أجل مساعدة ضحايا الحرب الأهلية في روسيا في العشرينيات صمم بحيث يضعف سلطة الحكومة البلشفية وجرت مواجهات بشأنه مع حكومة لينين حتى تم إعادة تصميم شبكات التوزيع بحيث تخضع لسيطرة البلاشفة بصورة ما أو بأخرى.

وبعد الحرب العالمية الثانية صار مستحيلا البحث أحيانا في الدوافع السياسية للمساعدات الإنسانية المقدمة من جانب الحكومات وبات من الأفضل النظر في تأثيرها على المجتمعات والدول المتلقية، فلا شك أن لا دولة هناك تقدم مساعدات إنسانية فقط من أجل أهداف ●●●

REUTERS

بعض جنود الفرقة الهندية التابعة للأمم المتحدة يحملون جثة واحد من زملائهم الأربعة الذين قضوا بالقصف.

أخلاقية، رغم كون الأخيرة ماثلة دائما في خلفية اتخاذ أي قرار ولا سيما إبان الكوارث الطبيعية مثل تسونامي، ويصبح الأفضل أن ينظر المرء إلى مدى تلاقي مصالح الدول المانحة والمنظمات الدولية مع المصالح غير المختلف عليها للمتضررين من النزاع. وهذه مسألة شائكة إلى حد كبير حيث يعتقد البعض أن المساعدات الإنسانية أحيانا تطيل أمد النزاع (ويعطون مثلا على ذلك بما حدث في بيافرا) أو تحمل عبء المسؤولية عن طرف بعينه (مثل مساعدة الفلسطينيين في الضفة الغربية مثلا عوضا عن قيام الاحتلال الإسرائيلي بمهامه). بيد أن هذه إشكالية لا تعنينا هنا على صعيدها النظري إذ أن النتائج السياسية السلبية في أغلبها هي نتائج غير مستهدفة كما يقول ماكس فيبر، ونركز في مقالنا هذا على التشابك الذي يثير إشكاليات بين الوظائف السياسية والإنسانية للمجتمع الدولي.

وقبل الدخول في هذه الإشكالية يجب التفريق بين ما إذا كان هناك تسييس للعمل الإنساني وبين وجود حاجة فعلا للتدخل الإنساني، فربما تكون هناك مصالح خاصة لدى الدول التي منحت مساعدات إنسانية للبنان إبان الأعمال العسكرية الإسرائيلية ضدها في صيف 2006 ولكن لا يمكن إنكار أن حاجات إنسانية ماسة في لبنان استدعت تقديم المساعدات. ويصبح من نافلة القول أيضا ما إذا كان تقديم المساعدات الإنسانية يرفع عن كاهل هذه الدول أولوية العمل السياسي الهادف إلى إنهاء الصراع لإيقاف أسباب النزيف عوضا عن استعمال ضمادات قد تخفي العرض ولكنها أيضا تغلف بالضباب المرض. إذ لا يصح أن يستبعد أحدهما الآخر، بمعنى أن مساعدة النساء والأطفال والعجائز على مواصلة الحياة لا يجب أن تصبح بديلا عن العمل لإنهاء النزاع المسبب للحالة التي يعانون منها.

ويعتقد البعض أن تسييس العمل الإنساني يمكن أن يقل بعض الشيء لو اعتمد المانحون أكثر على المنظمات الدولية من أجل توزيع المساعدات، كون هذه المنظمات ملتزمة بمواثيق تجبرها على تقديم المساعدات على أساس الحاجة. والاتجاه الغالب في المساعدات الإنسانية حاليا هو إما تقديمها بشكل ثنائي بين الدول أو تحديد الطرف المتلقي عند تقديمها إلى المنظمات الدولية وبالتالي حرمان المنظمات الدولية من توزيع إيراداتها حسبما ترى بين مواقع الكوارث المختلفة. وعلى سبيل المثال تفضل عدة دول عربية، خاصة القادرة منها، منح مساعداتها بشكل ثنائي مباشر إلى حكومات الدول المتضررة إما لعدم اقتناع بالتعامل مع المنظمات الدولية أو لاعتقادها ـ وقد تكون مصيبة في هذا الاعتقاد في أحيان مختلفة ـ أنها ستحظى بتأثير أكبر عبر هذا الطريق الثنائي يمكن أن يخدم مصالحها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في المستقبل. وكان هذا واضحا في حالة زلزال باكستان في شهر أكتوبر/ تشرين الأول 2005 حيث نادت الأمم المتحدة بمنظماتها المختلفة المجتمع الدولي من أجل الحصول على 550 مليون دولار، ولكنها لم تحصل سوى على ربع هذا المبلغ بعد أسابيع من إطلاق ندائها، بينما قدمت دول مختلفة مئات الملايين من الدولارات مباشرة لحكومة باكستان تدفق بعضها من دول الخليج العربية.

العمل مع القوات المسلحة

لدى الأمم المتحدة ثلاث إشكاليات رئيسية: الأولى هي أنها تلعب أدوارا سياسية وأدوارا إنسانية، والثانية أنها تلعب أيضا دورا عسكريا عن طريق مهمات حفظ السلام، وأخيرا أنها تعمل أحيانا على الأرض مع القوات المسلحة التي يمكن النظر إليها على أنها طرف في النزاع الدائر. ونتعامل في هذا الجزء مع الإشكالية الثالثة.

نشأت أولى المنظمات الإنسانية في العالم في عام 1859 على يد السويسري هنري دونان والتي صارت الآن علما وهي اللجنة الدولية للصليب الأحمر، وذلك بعد أن شاهد دونان فظائع موقعة سولفرينو في إيطاليا، وكيف مات العديد من الجرحى في ساحات القتال دون علاج أو عناية تذكر. وارتبطت النشأة بالحياد الصارم تجاه الأطراف المتحاربة وعدم العمل أو التعاون مع أي منها، وما زالت اللجنة الدولية للصليب الأحمر ملتزمة إلى أقصى حد ممكن بهذا الحياد بيد أن السنوات العشر الأخيرة بدأت تشهد تعاونا أكثر بين المنظمات الإنسانية الأخرى وخاصة تلك التابعة للأمم المتحدة والأهلية من ناحية والقوات المسلحة من الناحية الأخرى، مثلما شاهدنا على صعيد التنسيق اللوجستي وتبادل المعلومات الإنسانية في أفغانستان في عام 2001 وفي العراق في 2003 ثم أخيرا وربما أهم الأمثلة لأنه شمل تعاونا فعالا وحقيقيا في باكستان في أواخر 2005 بعد الزلزال المروع الذي تضرر منه أكثر من مليوني شخص بين قتيل وجريح ومشرد.

وقد تباحث مسؤولون من الأمم المتحدة مع جنرالات في الجيش الباكستاني من أجل السماح بأن تقل طائرات هليكوبتر تابعة للجيش مواد إغاثة، وكانت هذه بداية تعاون فعال بين منظمات الإغاثة الإنسانية وبين الجيش الباكستاني وخاصة أن نداءات البرنامج ساعتها للحصول على تمويل كاف لتسيير ثلاثين طائرة هليكوبتر لم تكن قد تلقت الدعم الكافي.

كان واضحا من بداية الزلزال في أوائل شهر أكتوبر/ تشرين الأول أنه في ظل الدمار الذي لحق بالعديد من الطرق، فإن المروحيات هي السبيل الوحيد لتوصيل المساعدات التي تشتد حاجة مئات الآلاف من الناجين إليها وتشمل الغذاء والخيام، والبطاطين، والملابس الثقيلة والإمدادات الطبية ونقل الأشخاص المصابين لتلقي الرعاية الطبية في رحلة العودة. ووجهت الأمم المتحدة نداء للعالم بأسره من أجل توفير الأموال اللازمة لتشغيل المروحيات باهظة التكاليف، حيث يتكلف تحليق مروحية من طراز إم آي 17 لساعة واحدة نحو ثمانية آلاف دولار أمريكي. وأعلنت الأمم المتحدة أنها تحتاج إلى 100 مليون دولار أمريكي لمدة ستة أشهر ولكن حتى الأسبوع الثالث للعملية، لم يجتمع لديها سوى أقل من عشرة بالمائة من إجمالي احتياجاتها. ومع قرب نفاد الأرصدة لجأت الأمم المتحدة إلى الجيش – وهو ما قد يزعج المتمسكين حرفيا في أوساط الإغاثة الإنسانية بمبدأ عدم اللجوء إلى الجيش. وكان الجيش قد قام في تلك المرحلة، بنشر 45 مروحية، الكثير منها من طراز إم آي–17 كما أن تضاريس المكان وظروفه كانت مألوفة بالنسبة للطيارين الذين وفرهم الجيش. أما الأمر الذي كانوا يفتقدونه فهو وجود خط إمدادات من مواد الإغاثة المناسبة يكون على درجة من التنسيق. وهذا هو الجانب الذي كانت الأمم المتحدة قادرة على تقديم المساعدة فيه.

مبادئ ينبغي احترامها

إن الدرس المستفاد من هذه التجارب هو أن هناك مبادئ لها احترامها في سياق معين حينما يتعلق الأمر بالعمل مع القوات المسلحة. وفي الحقيقة فإن هذه المبادئ التي تحظر تقريبا العمل والظهور سويا في ميادين العمل الإنساني بين المنظمات الإنسانية والقوات المسلحة، مبادئ مهمة للغاية ينبغي اتباعها خاصة في حالات النزاع المسلح وفي المناطق التي للقوات المسلحة فيها سوابق في انتهاك حقوق السكان. بيد أن حالات الطوارئ التي تخلقها الكوارث الطبيعية تشكل سياقا مختلفا ويكون واضحا فيها ما إذا كانت الجيوش أو الميليشيات بصدد عرقلة عمليات إنقاذ الأرواح بدلا من المساعدة فيها ـ أو أنهم قد انزلقوا إلى حد الإساءة إلى المدنيين. ولذا فإن العمل إلى جوار القوات المسلحة في أفغانستان 2001 والعراق 2003 أمر مختلف عن العمل إلى جانبها في باكستان 2005 وربما تكون هناك حاجة إلى استنباط آليات جديدة، ربما نظام فعال من الاتفاقات الاحتياطية، للعمل مع القوات المسلحة التي تبدي قدرة على تحمل المسؤولية في حالات الطوارئ الطبيعية مثل زلزال كشمير. وقد يوفر ذلك فرصة أفضل بكثير للتصدي للكوارث منذ اليوم الأول في إطار عمل مشترك يتسم بالفعالية.

كيف نقلل تدخل السياسي في الإنساني؟ مثال: التبرعات المالية للعمليات الإنسانية

تسعى الأمم المتحدة والمنظمات الإنسانية الدولية الأخرى إلى تقليل اعتمادها على الدول خاصة لمد يد العون لضحايا النزاعات العسكرية وذلك عن طريق وضع حاجز زمني بين مساهمات الدول وبين استخدام هذه المساهمات.

أحد الأمثلة البارزة على هذا التوجه الصندوق المركزي للتعامل مع الطوارئ ورأسماله المقترح خمسمائة مليون دولار ويديره مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية التابع للأمانة العامة للأمم المتحدة Central Emergency Relief Fund (CERF) حيث تتعامل معه وكالات الإغاثة المختلفة إما على أنه مصرف يتم الحصول على قروض منه دون فوائد ويتم ردها بعد أن تتحرك الدول المانحة سواء لسد هذه القروض مباشرة أو لتقديم تبرعات لوكالات الإغاثة لتسديد قروضها أو يقدم الصندوق منحا لا ترد لوكالات الإغاثة. ويرى بعض المعارضين أنه حتى هذا الصندوق قد تكون له مشاكله حيث إن الدول المانحة قد تقوم بتحويل جزء من مساعداتها المقدمة مباشرة إلى مؤسسات الإغاثة إلى هذا الصندوق وبالتالي يتحول الصندوق الجديد إلى آلية لإعادة توزيع المساعدات بدلا من زيادة قدرة وسرعة الأمم المتحدة على مواجهة الكوارث المفاجئة (لاحظ أن المساعدات الإنسانية عموما تراجعت قيمتها الإجمالية في العامين الماضيين من حوالي عشرة مليارات دولار سنويا إلى حوالي 8,7 مليار دولار في عام 2004) كما أنه لا توجد آليات في الصندوق الجديد من أجل إعادة تغذيته للحفاظ على مستوى أدنى من السيولة بعد أن تستنفد التبرعات الأولية لإنشائه.

فصل مطلوب

بيد أن كل هذه الحجج المعقدة التي ربما تعكس بأفضل وجه ممكن مدى تعقيد مصفوفة الدوافع والمصالح المتشابكة على صعيد العمل الإنساني قد لا تهم كثيرا المستفيدين من المساعدات الإنسانية حيث يرى معظمهم يدا تمتد بالعون وأخرى من نفس الجسد، قادرة ولكنها، لا تمنع الضائقة والمصيبة.

وربما يكون المخرج الرئيسي أمام منظمات المساعدات الإنسانية وخاصة الأمم المتحدة هو فصل كبير بين آليات صنع القرار على الصعيد الإنساني وآليات صنعه على الصعيد السياسي داخل نفس المنظمة. وهذا الفصل يستحيل أن يكون تاما ولكن ما يدرك كله لا يترك كله.

في نهاية برنامج المنار التليفزيوني توجهت إلى الشيخ الذي فقد أحد أبنائه وإلى الشقيق الذي فقد أخاه وشددت على أيديهم معزيا. وبسماحة ولكن بكبرياء رفض الوالد العزاء. لخص الموقف ملصق شاهدته في أحد شوارع بيروت بالعربية والإنجليزية يقول: "لا نريد مساعدتكم.. أوقفوا الحرب". بيد أن العالم بوضعه الحالي سيستمر في المعاناة من الحروب وسيظل دور المنظمات الإنسانية دائما لأسباب عديدة هو محاولة التخفيف من معاناة المدنيين ودور المنظمات الحقوقية والسياسية هو التوثيق للانتهاكات والتوصل إلى اتفاق مرضٍ سياسيا (ربما ليس حقوقيا أو عادلا في بعضٍ الأحوال) يسمح بإيقاف الحرب. وحتى تصير الحرب مجرد تاريخ سيستمر العبء الرازح على أكتاف منظمة مثل الأمم المتحدة تسعى بمؤسساتها المختلفة إلى لعب كل هذه الأدوار سويا في نفس الوقت! ●

ICRC

نعم ما زلتُ مؤمنا

في تلك الليلة من ليالي تموز، مر مشهد ليس كغيره من المشاهد، حيث كان يتلألأ من بين الأنقاض وجه طفلة صغيرة باغتتها قنابل القتل أثناء نومها تاركة على ثغرها ابتسامة بريئة من مخلفات حلم جميل. عندها سمعت شهيقا "خافتا".

أسامة دمج*

إنها ليلة كغيرها من ليالي تموز/ يوليو حيث كنا (زوجتي و أنا) نهرع بعد انتهاء العمل للتسمر أمام شاشة التلفاز لمتابعة المسلسل الجديد "تدمير لبنان"، والذي احتل معظم شاشات الفضائيات. ولكن في تلك الليلة مر مشهد ليس كغيره من المشاهد حيث كان يتلألأ من بين الأنقاض وجه طفلة صغيرة كانت قد باغتتها قنابل القتل أثناء نومها تاركة على ثغرها ابتسامة بريئة من مخلفات حلم جميل كانت تعيشه (ربما) في حضن أمها. عندها سمعت شهيقا "خافتا" فإذا بدموع زوجتي تنهمر بصمت من عينين فيهما من علامات الاستفهام أكثر مما فيهما من الحزن. وبالفعل فما أن سألتها لماذا هذه النظرات حتى كان ردها واضحا:

ـ "بربك هل هذا القانون الذي تدعي نشره والذي تركت عملك وبلدك وأصبحت تعيش في الطائرة أكثر مما تعيش معنا (تقصد هي وولدي)، يستحق كل هذه التضحيات في حين أنه يداس في كل معركة وعلى مرأى من العالم ولا من مجيب"؟.

وأنهت حديثها بسؤال محدد:

ـ "هل ما زلت مؤمنا" بهذا القانون؟

وماذا عساك أن تقول لمستمعيك غدا، عندما تبدأ بالحديث عن القانون ووجوب احترام قواعده ومبادئه في ظل الانتهاك المنهجي والمتمادي لأبسط القواعد الإنسانية؟"

ولقارئي الكريم ولرفيقة عمري أقول التالي:

"نعم .. أنا ما زلت مؤمنا" بأن القانون الدولي الإنساني ليس سوى الانعكاس المباشر للطبيعة البشرية، إنه الصورة الحقيقية للصراع الداخلي الذي يعيشه الإنسان منذ أن وجد على هذه الأرض، إنه الصراع ما بين حالة الخير والتسامح والإنسانية التي نطمع بالوصول إليها وحالة الأنانية والحقد وحب السيطرة التي نمارسها بالواقع؛

نعم .. أنا ما زلت مؤمنا بأن نشر ثقافة القانون الدولي الإنساني في المجتمعين المدني والعسكري هو السبيل الوحيد للحد من نزوات بعض القادة الذين يحكمون هذا العالم. فمسؤولية هذه الانتهاكات تقع على عاتق كل مواطن يضع ورقة في صندوق اقتراع وكل شخص ينزل إلى الشارع هاتفا لفكر أو عقيدة أو زعيم. إنها وبكل بساطة مشكلة من يحكمنا .. أهم مجموعة من الحكماء أم من المهووسين بالسلطة وبأي ثمن؛

نعم .. أنا ما زلت مؤمنا بأن أي حق كي لا يضيع يجب أن يحمى، وحماية حقنا من خلال هذا القانون تكون بتوثيق الانتهاكات وتنظيمها وفقا لمستلزمات القانون الدولي الإنساني وقانون حقوق الإنسان، وبالتالي تفعيل منظومة الاختصاص العالمي على مستوى القضاء الوطني كما نصت عليه المواثيق الدولية ذات الصلة. ولكن لا يمكننا توثيق قانون نجهله ونجهل أحكامه، بحيث نعجز عن التمييز ما بين حقوقنا وواجباتنا التي نص عليها هذا القانون؛

نعم .. أنا ما زلت مؤمنا بأن حماية القضايا العادلة لا يمكن إلا أن تكون عبر احترام المواثيق الدولية التي انضممنا إليها مختارين كونها تشكل القاسم المشترك للتواصل والتعامل والتفاهم مع مختلف المجتمعات الدولية الأخرى التي قد لا تكون تشاركنا ديننا أو ثقافتنا أو لغتنا أو حضارتنا وعاداتنا؛

نعم .. أنا ما زلت مؤمنا بأن المجازر لن تحقق نصرا ولن تقضي على عزيمة مقاوم وعلى صمود شعب عرف طريقه للنضال من أجل حقوقه المشروعة، ولنا في لبنان نموذج ومثال حديث يضاف إلى ذاكرة التاريخ؛

نعم .. أنا ما زلت مؤمنا بأن احترام القانون الدولي الإنساني من قبل أي عسكري أثناء العمليات الحربية، إنما يشكل الحد الفاصل ما بين أن يحمل شرف كونه مقاتلا "محترفا" يستحق احترام الخصم قبل الصديق أو أن يكون مجرد قاتل يشوه سمعة شعبه ووطنه؛

نعم .. أنا ما زلت مؤمنًا بأن القانون الدولي الإنساني يقدم للقائد العسكري العديد من المخارج القانونية للمعضلات الإنسانية التي تواجهه في أرض المعركة. فهو حتمًا لن يعيق حقنا وواجبنا في تنفيذ المهام العسكرية المكلفين بإنجازها، ولكن حذار أن يكون حكمنا على هذا القانون مرتكزًا على جهلنا لأحكامه، فما بني على باطل فهو باطل؛

نعم .. أنا ما زلت مؤمنا بأن صفحات التاريخ التي خلدت القادة الشرفاء ستستمر في لعن مجرمي الحروب على مر العصور مهما عظم شأنهم ودورهم وقوة وعظمة بلدانهم؛

نعم .. أنا ما زلت مؤمنا بأن قوة المجتمع المدني تشكل مركز الثقل الأساسي في معركة الحق على الباطل وأن العمل على معرفة قواعد هذا القانون من قبل مختلف شرائح المجتمع إنما هو الخيار السليم؛

نعم .. أنا ما زلت مؤمنا بأن قيامي بالمساهمة بنشر أحكام ومبادئ القانون الدولي الإنساني ما بين العسكريين والمدنيين ليس مرتبطا فقط بالتفويض المعطى إلى اللجنة الدولية للصليب الأحمر (والتي أعمل لها) من خلال المواثيق الدولية ذات الصلة، وإنما هي وقبل كل شيء واجب على كل شخص يؤمن بقيمة الإنسان فقط لمجرد كونه إنسانًا بصرف النظر عن اسمه ولونه وعقيدته وجنسه، وذلك التزاما بقوله تعالى في سورة النساء "يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة" ●

(*) عميد ركن متقاعد، المندوب الإقليمي للجنة الدولية للصليب الأحمر لدى القوات المسلحة.

تشمل مخلفات الحرب القابلة للانفجار قنابل المدفعية غير المنفجرة والقنابل اليدوية ومدافع الهاون والذخيرة العنقودية الصغيرة والقذائف الصاروخية وغيرها من الأجسام القابلة للانفجار والمتخلفة عن النزاعات المسلحة.

ولهذه الأسلحة عواقب خطيرة على السكان مثلها مثل الألغام المضادة للأفراد. فعقب انتهاء الحروب، تظل هذه الأسلحة الغادرة تهدد وتشوه وتقتل بشكل عشوائي لوقت طويل بعد انتهاء العمليات العدائية، كما تتسبب هذه المخلفات في إعاقة إعادة البناء والتنمية الاقتصادية في مرحلة ما بعد النزاع. وهي عادة ما تتسبّب في إصابات شديدة للأفراد، إذ قد تؤدي إلى مقتلهم أو إلى بتر طرف أو أكثر من أطرافهم، ويكون غالبية ضحاياها في العادة من المدنيين. الذين يصاب الناجون من الموت منهم بعجز دائم، يحتاجون معه لرعاية طويلة المدى.

وقد خلفت حملة القصف المكثف على لبنان العديد من ذخائر الحرب غير المنفجرة التي تناثرت في القرى والمناطق الريفية المحيطة. وكانت الساعات الثماني والأربعون الأخيرة التي سبقت وقف إطلاق النار هي الأكثر فظاعة، فالأضرار التي لحقت بالمباني، بما فيها الكنائس والمساجد والمستشفيات والمتاحف، بحسب تقارير اللجنة الدولية للصليب الأحمر، حوّلت أحياء وقرىً برمتها إلى كومة من الأنقاض. ومع دخول وقف إطلاق النار حيز التنفيذ في الرابع عشر من أغسطس/ آب الماضي، تكشف أمام العائدين لمنازلهم وقراهم، بعد نزوحهم عنها، أنهم بصدد مواجهة قد تطول مع عدو شرس متربص يتمثل في هذه الذخائر والمخلفات غير المنفجرة، التي قدر البعض أعدادها مبدئيا بما يفوق المليون قذيفة وشظية غير منفجرة، ومن ثم ما لبثت المخلفات أن عملت عملها مما أسقط العديد من الضحايا خصوصا من الأطفال، وما زالت الأنباء تحمل لنا تباعا تفاصيل أثرها الفتاك على المدنيين من السكان.

بروتوكول يدخل حيز التنفيذ

للمفارقة الشديدة، حدث قبل شهرين من اندلاع الأعمال العدائية الأخيرة في لبنان، أن اكتمل العدد القانوني المطلوب للدول المصدقة على البروتوكول الذي يقيد استخدام هذه الأسلحة الفتاكة، إذ اكتمل النصاب المطلوب بتصديق عشرين دولة وبهذا تكون الحكومات قد استجابت للأزمة الإنسانية التي تسببها مخلّفات الحرب القابلة للانفجار عبر تقييد استخدام هذه الذخائر والمخلفات وتحديد المسؤوليات فيما يتعلق بإزالتها بعد انتهاء العمليات العدائية. (وهو البروتوكول الخامس الإضافي للاتفاقية الخاصة "بحظر أو تقييد أسلحة تقليدية معينة يمكن اعتبارها مفرطة الضرر أو عشوائية الأثر لعام 1980")، الصادر عام 2003، والذي دخل حيز التنفيذ في الثاني عشر من مايو/آيار عام 2006. ويشكّل هذا البروتوكول الإطار القانوني الدولي الرامي إلى منع ومواجهة المعاناة الإنسانية الناجمة عن مخلّفات الحرب القابلة للانفجار.

عواقب مخلفات الحرب غير المنفجرة على صعيد العالم

من المعروف أن أعدادًا كبيرة من المدنيين يقتلون أو يصابون كل عام بسبب الذخيرة غير المنفجرة. إذ يصبح أغلبية المدنيين المتواجدين في المناطق المصابة بها ضحايا بعد انتهاء القتال، وذلك على الرغم، ربما، من حقيقة أنهم لم يكونوا هدفًا للذخيرة عندما وضعت، أو وجهت أو أطلقت. وفي سياقات عديدة تصيب طائفة متنوعة من الذخائر مجموعات السكان المدنيين. وهذه الذخائر تشمل الألغام الأرضية، والشظايا المتفجرة الناتجة عن القنابل العنقودية التي تقصف من الجو أو من منصات أرضية، وقذائف المدفعية، والقنابل اليدوية، والصواريخ والذخائر غير المنفجرة الأخرى. وبينما يعتقد البعض أنه كان لمثل هذه الأسلحة منفعة عسكرية عندما استخدمت في البداية، إلا أن تلك القيمة عادة لا تعود ذات صلة عندما يتعرض المدنيون ووكالات المساعدة الإنسانية لها.

وتعد لاوس مثالا قاسيا للعواقب الوحشية للمتفجرات المتبقية من الحرب. واليوم، فإن هذا البلد يظل يعاني من تأثيرات الكميات الكبيرة من القنابل والذخيرة القابلة للانفجار التي ألقيت هناك منذ نحو 30 عامًا. فالملايين من الذخائر غير المنفجرة تتناثر في البلد. وطبقًا لوكالة إزالة الألغام الرئيسية في لاوس، فإن 11,000 شخص تقريبًا قد قتلوا أو أصيبوا في حوادث ذخائر غير منفجرة منذ عام 1973. وبالإضافة إلى هذه التكلفة البشرية، فإن وجود الذخيرة غير المنفجرة كانت له تأثيرات اجتماعية ـ اقتصادية شديدة للغاية مما فاقم من فقر البلد بمرور السنين.

كما تعد كوسوفو مثالا أحدث. فبعد عام من انتهاء النزاع في تلك المنطقة لقي 492 شخصًا حتفهم أو أصيبوا في حوادث ذخائر غير منفجرة. وطبقًا لبيانات جمعها موظفو التوعية بالألغام التابعون للجنة الدولية للصليب الأحمر في مختلف أنحاء كوسوفو، فإن ثلث هؤلاء الضحايا تقريبًا قتلوا أو أصيبوا بسبب ألغام مضادة للأفراد، وثلثا بسبب شظايا قنابل عنقودية، وثلثا بسبب ذخائر أخرى. كما سقطت وتسقط كذلك أعداد كبيرة من ضحايا الذخائر غير المنفجرة في أفغانستان، وأنغولا، والعراق، وموزمبيق، والاتحاد الروسي (الشيشان) وفي كثير من مناطق النزاع الأخرى. أما في بولندا، فقد قتل ما يزيد على 12,800 شخص أو أصيبوا نتيجة ذخائر غير منفجرة في السنوات التي أعقبت نهاية الحرب العالمية الثانية.

AFP

في الثاني عشر من مايو/ آيار من هذا العام، دخل البروتوكول الخامس الملحق باتفاقية حظر وتقييد أسلحة تقليدية حيز التنفيذ، وهو البروتوكول الذي يضع قيودا على الاستخدام غير المبرر للقنابل العنقودية والذخائر غير المنفجرة على النحو الذي شهدناه مؤخرًا في لبنان.

القنابل العنقودية والذخائر غير المنفجرة خطر يهدد اللبنانيين

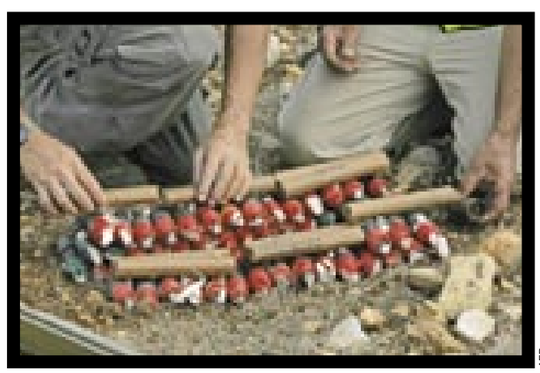
AFP

مشاكل لم تدرس

ورغم أن المجتمع الدولي قد حقق تقدمًا ملحوظًا في التعامل مع المشاكل الإنسانية الناتجة عن الألغام المضادة للأفراد، إلا أن المشاكل الأوسع نطاقًا الناتجة عن "مخلفات الحرب غير المنفجرة" الأخرى لم تدرس. وبصفة خاصة، لم تجر سوى مناقشات قليلة عن كيفية تقليل تأثير الذخيرة غير المنفجرة، خلاف الألغام المضادة للأفراد، في سياق ما بعد النزاع. وبينما كان هناك دعم كبير بين الحكومات لفرض قيود أكبر على استخدام الألغام المضادة للمركبات، إلا أن اللجنة الدولية للصليب الأحمر ترى أنه ينبغي بحث نهج أكثر شمولية.

البروتوكول الجديد ومبادرة اللجنة الدولية

تسعى اتفاقية الأسلحة التقليدية، التي اعتمدت في 1980، إلى تقليل تأثير أسلحة معينة في النزاع وفي حالات ما بعد النزاع. والاتفاقية هي الصك الأساسي للقانون الدولي الإنساني الذي ينظم الأسلحة التي يمكن أن يكون لها تأثيرات عشوائية أو التي تسبب معاناة غير ضرورية أو إصابة مفرطة. وتتضمن الاتفاقية بروتوكولات تحظر الأسلحة التي تستخدم شظايا لا يمكن كشفها بالأشعة السينية (البروتوكول الأول)، وأسلحة الليزر المسببة للعمى (البروتوكول الرابع). وتضع بروتوكولات أخرى قيودًا على استخدام الألغام الأرضية، والشراك الخادعة والنبائط المماثلة (البروتوكول الثاني) والأسلحة الحارقة (البروتوكول الثالث) وذلك بسبب تأثيراتها العشوائية. وقد عقد المؤتمر الاستعراضي الثاني لاتفاقية الأسلحة التقليدية من 11 إلى 21 ديسمبر/كانون الأول 2001 في جنيف. وكان أحد أهداف المؤتمر النظر في العروض المقدمة لتعزيز وتطوير القواعد المتعلقة بتقليل تأثيرات أسلحة معينة. وأتاح المؤتمر فرصة مهمة للمجتمع الدولي لدراسة المشاكل الناتجة ●●●

••• عن مخلفات الحرب غير المنفجرة.

في هذا المؤتمر، اقترحت اللجنة الدولية للصليب الأحمر أن تنظر الدول الأطراف في اعتماد بروتوكول جديد لاتفاقية الأسلحة التقليدية يمكنه أن يقلل بدرجة كبيرة الإصابات البشرية والعواقب الاجتماعية ـ الاقتصادية الناتجة عن مخلفات الحرب غير المنفجرة. وكما اقترحت اللجنة الدولية للصليب الأحمر، فقد تضمن البروتوكول بنودا مهمة من بينها:

- أنه يضع مسؤولية على الذين يستخدمون الذخيرة المنفجرة في تطهير وإزالة ما يتبقى من هذه الذخائر بعد انتهاء الأعمال العدائية أو تقديم المساعدة التقنية والمادية اللازمة لتأمين هذه الإزالة (هذه المسؤولية يمكن أن تدعم بإجراءات تقنية متعددة تشمل، على سبيل المثال، شرط أن تكون الذخيرة، بما في ذلك الشظايا المتفجرة، مزودة بآليات تدمير ذاتي، وشرط أن تكون الذخيرة قابلة للكشف)؛
- أنه يشترط التوصيل السريع للمعلومات التقنية إلى الأمم المتحدة ووكالات إزالة الألغام من أجل تسهيل الإزالة السريعة وتقليل المخاطر التي يتعرض لها العاملون في إزالة الألغام؛
- أنه يشترط أن يقدم الذين يستخدمون الذخيرة غير المنفجرة التي يرجح أن تكون لها تأثيرات طويلة الأجل معلومات إلى المنظمات التي تقوم بالتوعية بالألغام والذخيرة غير المنفجرة، وتقديم تحذير مسبق فعال لمجموعات السكان المدنيين عن الذخائر التي وضعت؛
- أنه يحظر استخدام الشظايا المتفجرة ضد أي هدف عسكري يقع بداخل تجمع للمدنيين.

مسار المفاوضات

أنشأ المؤتمر الاستعراضي الثاني لاتفاقية الأسلحة التقليدية فريقا للخبراء الحكوميين لدراسة المشكلة والحلول الممكنة. ونتيجة للعمل المكثف بشأن هذه القضية في عام 2002، أوصى الفريق باستحداث صك جديد. وبوجه خاص، اقترح الفريق أن يمنح ولاية للتفاوض على صك جديد بشأن "إجراءات علاجية ذات طبيعة عامة لما بعد النزاع من شأنها تقليل مخاطر مخلفات الحرب غير المنفجرة" أي إجراءات عامة تتخذ بعد انتهاء الأعمال العدائية الفعلية، مثل العناصر الرئيسية لاقتراح اللجنة الدولية للصليب الأحمر. واعتمدت الدول الأطراف هذه التوصية، وقد عقدت جلسات التفاوض في جنيف من 10 – 14 آذار/مارس، ومن 16 – 27 حزيران/يونية ومن 17 – 24 تشرين الثاني /نوفمبر 2003. وقد أسهم في هذه الجلسات ممثلون للدول الأطراف والدول والمنظمات المشاركة بصفة مراقب. وهي الجلسات التي أسفرت عن وضع نص البروتوكول سابق الذكر. الذي أصبح بمثابة أول معاهدة متعددة الأطراف في القانون الدولي الإنساني تطالب الأطراف في نزاع مسلح بإزالة كل الذخائر غير المنفجرة المتروكة والتي تهدد بعد انتهاء المعارك حياة المدنيين وأفراد فرق حفظ السلام والعاملين في مجال الإغاثة.

ويعد الصك الجديد بشأن مخلفات الحرب غير المنفجرة تطورًا مهمًا للغاية، من شأنه أن يعزز مجالًا من مجالات القانون الدولي الإنساني توجد فيه بالفعل قواعد قليلة حاليًا. كما أنه يعد خطوة أساسية نحو تقليل الوفيات والإصابات والمعاناة غير الضرورية التي نراها غالبا في أوضاع ما بعد النزاع.

الاحتياجات الإنسانية ذات الصلة ودور اللجنة الدولية للصليب الأحمر

وبحسب ما توصل إليه واضعو هذه المعاهدة، تتضمن الاحتياجات الإنسانية الناجمة عن الآثار الشريرة لاستخدام هذه الأجسام غير المنفجرة: "تقديم المساعدة مدى الحياة لرعاية الضحايا وإعادة تأهيلهم وإعادة دمجهم في المجتمع اقتصاديًا واجتماعيًا بالإضافة إلى اتخاذ تدابير للحيلولة دون وقوع المزيد من الإصابات". ولتحقيق هذه الأهداف تقدّم اللجنة الدولية للصليب الأحمر المساعدة للمرافق التي توفّر رعاية الطوارئ والمستشفيات ومراكز إعادة التأهيل البدني في البلدان المتأثّرة بالألغام. كما تدعم اللجنة الدولية أيضًا، بالتعاون مع الجمعيات الوطنية للصليب الأحمر والهلال الأحمر، التدابير الوقائية الرامية إلى حماية الناس من القتل أو الإصابة بواسطة الألغام أو الذخائر التي لم تنفجر، وتتضمن هذه التدابير تيسير الحصول الآمن على المياه والغذاء وغير ذلك من ضرورات الحياة الأساسية، وهو ما يتطلب في كافة الأوضاع حشد أكبر الجهود الممكنة على الصعيد المحلي والإقليمي والدولي لتتضامن معا من أجل تقديم الدعم وتخفيف المعاناة الإنسانية على المضارين، وتتطلب في المقام الأول أن يبذل المجتمع الدولي جهودا أكبر من أجل تقييد استخدام هذه الأسلحة الغادرة بفرض الالتزام بالقانون الدولي الإنساني بجعله مرجعا للسلوك وأداة للمحاسبة، وصولا إلى تطبيق مواثيقه على الأرض على النحو الذي يجعله قادرا على تقديم الحماية الضرورية للضحايا من أي طرف من الأطراف ●

يا ويلاه ع الفقير يا بنتي!

في الثاني عشر من أغسطس/آب، استهدف القصف الحاجة زهرة وبناتها وصهرها وحفيدتها.

ثلاثة أيام تحت ركام منزل في الطيري.

الرسم للفنان اللبناني
جميل ملاعب

هنادي سلمان*

تتكوم الحاجة زهرة في السرير، تمد إحدى ساقيها، ثم تطويها. تغطي يدها ثم تكشفها وترفعها نحو وجهها، تمسح عينيها، تسوي غطاء رأسها، وتطلق الآهة تلو الأخرى: يا ويلاه ع الفقير يا بنتي. يا ويلاه ع العاجز يا روحي. اللي عندن سيارات راحوا وتركونا، والفقير دعسوا بقلبه".

مطفأتان، عينا الحاجة زهرة، وكل ما هو سواهما فيها متقد، وقلبها محروق.

"إسّى عم تصوروني، كنتوا تعوا صوروني وأنا محنّاية بدمي وبالتراب ثلاثة أيام تحت الدمل، وقلبي محروق على فاطمة ومش قادرة أوصلها".

هي تجاوزت الخامسة والتسعين، تقول، "ملحقة المية". واحد وعشرون يوما أمضتها الحاجة زهرة علي شعيتو وابنتاها زينب جميل شعيتو وخاتون العاجزة ذهنيا، في بيتهما في حي البركة في الطيري تحت القصف. "كنا قاعدين مكوكعين بالبيت يا بنتي"، تقول.

لدى هدنة الساعات الثماني والأربعين، "فضيت البلد، وحيّنا مضروب"، تروي زينب. كان مسعفو الصليب الأحمر يطلون على من في القرية كلما استطاعوا الدخول إليها، يجلون المدنيين ويسعفونهم. عندما قصدوا منزل الحاجة، فكرت زينب أن الحرب لن تطول بعد، وأنه "مش حرزانة بعد نتشمشط، أمي عاجزة وأختي الله يساعدها". حملوا الحاجة على كرسيها وأقلتهم الإسعاف إلى منزل صهرهن حسين محمد شعيتو، في "أول البلد، على الأوتوستراد من جهة حداثا".

البيت مؤلف من ثلاثة طوابق، وفيه كان حسين وزوجته فاطمة وابنتهما فريال. لا طعام في المنزل، لا كهرباء، لا ماء سوى في البئر الواقع في الحديقة التي لا يجرؤ أحد على الوصول إليها. لا إرسال هاتفيا في القرية، لا سيارة، "انقطعنا عن العالم، حتى في الأخبار لم يذكر الطيري أحد. كنا نستمع إلى النشرات بالراديو حتى فرغت ●●●

(*) صحافية بجريدة "السفير" اللبنانية.

●●● البطاريات. كنا نضيء الشمعة لمدة عشر دقائق فقط ونداريها بقطعة قماش حتى لا يشعر بنا الجنود الإسرائيليون".

"هكذا، قعدنا عندهم ستة أيام وصار اللي صار".

صار أنه في ليل الجمعة 11 آب، فجر السبت 12 آب، بدأ قصف البيت بالمدفعية.

تروي زينب كيف اختبأ من في البيت في القبو، "كنا ميبّسين على الحيط، لا أحد منا يتجرأ على الحراك. مع طلوع الضوء، قالت لي أختي، الشهيدة فاطمة (60 عاما)، اخرجي واحملي خرقة بيضاء أمام الآلية "التي كانت متوقفة في الجهة المقابلة من الطريق، على بعد نحو مائة متر من المنزل، أو أقل.

"قولي لهم أننا عجز، أوصتني فاطمة. خرجت، لوحت بالقطعة البيضاء، قلت لهم لا تقصفوا علينا، إننا مدنيون ومعنا عجز وثبتت الخرقة البيضاء على باب المنزل".

لم ينفع ذلك، وعاد القصف من جديد، واستمر متواصلا حتى الثامنة، أو الثامنة والنصف. فخرجت فاطمة مع زينب هذه المرة، تحملان المزيد من قطع القماش البيضاء، وكررتا الكلام ذاته، وقبل دخولهما المنزل، وزعتا "الرايات" البيضاء على كل الأبواب والشبابيك.

"ما إن عدنا إلى البيت، قالت فاطمة لابنتها فريال (30 سنة) أن تخرج إلى البلد مادام ليس فيها إسرائيليون ولكن فريال قالت أنه ليس لديها أعصاب وفيما كنا نتشاور بحيرة: نخرج أو لا نخرج، شكت علينا الطائرة مع أن البيت مفجم، وميتين من العطش والجوع..

"ع شو عم يقصفوا؟" رمت المقاتلة الصاروخ الأول فدمرت الطابق الأول ولم يتأذ أهل الدار.

رمت المقاتلة الصاروخ الثاني ودمرت الطابق الثاني.

"كانت أختي فاطمة تشد ابنتها نحو الزاوية لتخبئها عندما وقع الصاروخ الثالث. وقع العمود على أختي ـ نحن لم نعد نشعر بشيء ـ عندما أفقنا كنا شي منا مدمول لنصفه، شيء منا مدمول كله ـ نحن التهينا ببعض وأختي اختفى صوتها ـ صرنا نصرخ: يا مين ينقذنا، يا مين يعيننا، يا ناس، انجدونا، على مدى صوتنا".

لم ينجدهم أحد. لم يكن في الحي المقفر سواهم.

عوضا عن ذلك، قرر الإسرائيليون الابتكار. فبعدما "فجموا البيت تفجيم قبل دمله"، البيت الذي في داخله مدنيون وعجز، البيت الذي خرجت إليهم نساؤه بالرايات البيض، البيت المزنر بالرايات البيض، البيت الذي وقع للتو فوق من فيه، غدا هدفا لنزوتهم الأخيرة. فمن "الفتحة الوحيدة التي بقيت في القبو وكانت تدخل الضوء"، رمى الإسرائيليون قنبلة دخانية. "يمكن هذه هي التي يقولون أنها قنابل ذكية؟ ما بعرف"، تسأل زينب وتجيب.

الرسم للفنان اللبناني **جميل ملاعب**

لم تنته القصة بعد. أو أنها لم تبدأ بعد. مهلا على الراوية، فدموعها تسبق كلامها، ويداها ترتعشان وهي تستذكر.

عذرا، هي لا تستذكر. زينب تتكلم بصوت خافت ودموعها تكرّ فوق وجنتيها ونفسها يتقطع وعيناها سارحتان في أرض غرفة المستشفى. زينب في تلك اللحظة لم تكن في غرفة المستشفى، بدت كما لو أنها مازالت نصف مطمورة تحت ردم منزل أختها، الشهيدة فاطمة. تصحو وتغيب كلما اشتد الغبار، تسمع صوت أختها خاتون العاجزة تطالبها أن تزيل عنها الحجارة، وتطالبها بنقطة ماء، هي، خاتون، خاتون جميل شعيتو، العاجزة ذهنيا، التي تجاوزت الخمسين ولا تعرف عن الدنيا شيئا، وجدت نفسها ذات يوم من أيام آب العام 2006 تحت ردم منزل أختها الشهيدة فاطمة، ولم تعرف السبب.

زينب تجلس على حافة السرير، بلا حراك، تتكئ على جنب واحد، وتقص بصوت خافت، كمن يكلم نفسه. في عينيها ألف سؤال: هل فعلا حدث ذلك؟ هل يمكن لأي شيء شبيه أن يحدث؟ هل فعلا انتهى ذلك؟ هل كانت لنا حياة قبل ذلك؟ هل من حياة ممكنة خارج ما حدث؟ هل كنت أنا زينب جميل شعيتو تحت الردم في منزل أختي فاطمة صباح السبت 12 آب 2006؟

لا تسأل زينب الأسئلة. تشي بها عيناها.

زينب الصابرة، زينب البطلة التي لا تعرف أنها بطلة. زينب التي نذرت حياتها لأمها وأختها وأنقذت حياتهما وحياة صهرها وابنة أختها وانتشلتهم من تحت الردم وهي تحفر بأظافرها.

زينب التي كما كل الذين ولدوا وعاشوا جنوبي النهر، كفت عن انتظار يوم ينصفها، ويفيها حقها.

زينب تألمت تحت الردم، لكن لا تذكر ألمها. "كان صهري واقفا وكنت أظن أنه لم يصب. طلبت أن يزيل الدمار عني ـ الدمل الكبير ما كان فيي أحمله ـ قلت ساعدني في إزالته عني وعن ابنة أختي ـ عندها قال لي: ربما عينيي راحوا مش قاشع".

"بعدما زالت الغبرة رأيت وجهه كله دم ـ صرت أنا شيل عني الحجارة وأناوله إياها بيده، أمسكه الحجر الذي أزيله عني ـ تبين لاحقا أن إحدى ذراعيه وساقيه مصابتان ـ الشقف الكبيرة ما كان في شيلها وهو يده مكسورة والصغار أنا شلتهم ـ حفرت حوالي وقمت دخت ووقعت".

"بعد شوي صارت امي تقول شو هاللي دبتوه علي؟ شيلوه عني ـ وأختي وابنة أختي يطلبانني بأن أساعدهما ـ وأنا كنت ألم الدمل ثم يغمى علي ـ ظننا أن صهري راح وأنا ظننت أني رحت وسلمت".

"بعد ساعة، قعدت وحسيت إني منيحة. قالت لي ابنة أختي يا خالتي أنا ميتة ميتة، روحي انت من الفتحة".

زحفت فاطمة على بطنها نحو الفتحة وخرجت ورأت الآلية مازالت واقفة مكانها، "كأنها كانت معطلة".

"كنا صرنا الظهر ـ ذهبت إلى البلد أبحث عمن يعيننا ـ وصلت ورأيت رجلا قال أنه لا يستطيع الذهاب معي بسبب وجود جنود إسرائيليين بالقرب من المنزل وأنا كلني دم وثيابي معفرة. ندهت وصرخت ودرت من كل الجهات أصرخ وأطلب الإغاثة، ولكن لم يجبني أحد. ولم أجد من يعينني".

كان المساء قد حلّ وكان القصف قد استؤنف. لم تعد زينب إلى بيت أختها. "خفت أن أجلس أتفرج عليهم يموتون الواحد تلو الآخر. ظننت أن لا أمل من العودة".

نامت في البلد واستيقظت فجرا، حملت زجاجة مياه وذهبت إلى منزل أختها. وقفت عند جدار القبو وندهت: "يا فريال بعدكن عايشين؟".

"نعم"، قالت فريال، "وعطشانين بدنا نشرب". فدخلت إليهم زينب زحفا كما خرجت، سقتهم فبدأوا يتقيأون.

طلبت فريال أن تستمر زينب في الحفر "فساعدتها حتى أخرجت إحدى ساقيها ثم أغمي علي. لم أتمكن من انتشال ابنة أختي، حفرت بيدي وأظافري ولكني عجزت، فعدت إلى البلد حيث لم أجد من يساعدني، ولم يطل أحد ولم يخرج أحد".

على امتداد يوم الأحد، كانت زينب تعبئ الماء وتأخذه إلى أهلها في القبو. تنزل إلى البلد حافية وتعود حافية والطرقات مزروعة شظايا وبقايا زجاج. والقصف كان قاسيا يوم الأحد، أو لعل القصف كان الأقسى يوم الأحد، عشية وقف النار.

تعود زينب إلى القبو. تحفر من حول أهلها. حتى أكملت الحفر حول فريال. كانت ترفع حجرا فيقع الآخر. بيديها، بأظافرها تحفر وترفع الركام وتشد فريال إلى الخلف علها تنجح في رفعها. تنده خالقها وتشد وتحفر وتطلب من فريال أن تساعدها. أخرجت أختها خاتون قليلا وسحبتها وراءها وأخرجتها من الحفرة. "كانت خاتون أكثر من يحرق قلبي بينهم".

الاثنين، مع بزوغ الضوء، أحضرت زينب ثلاثة أشخاص مسنين معها لمساعدتها وصارت تنده لأهلها من تحت الدمل. لم يوقف الإسرائيليون النار قبل الثامنة والربع. عندها فقط، اتضح حجم الإصابات.

تروي زينب: "دخلنا وكان المكان قد أضحى كالمغارة. شحطنا أمي كالكيس من تحت الدمل ثم ابنة أختي ثم صهري ـ بقيت أختي فاطمة خمسة أيام مدمولة شهيدة ولم يتمكن أحد من انتشالها بسبب ثقل الحجارة التي وقعت فوقها ـ بقيت مكانها حتى الخميس لما جاء القطريون وسحبوها".

فاطمة الشهيدة، فاطمة التي عرفت الشقاء طوال عمرها. تزرع وزوجها وتحمل الثمار على رأسها وتقصد بنت جبيل مشيا على الأقدام لبيعها. فاطمة التي ما إن "يسّرها الله معها وصار بدها تستأنس بولادها حتى راحت وحرقت قلبنا معها".

حسين: فقد عينه وأصيب بكسر في رأسه، وآخر في رجله وأجريت له ثماني جراحات في ساقه وفي ذراعه.

فريال: كسرت ساقها وتشوهت وخضعت لثلاث جراحات. ثقبت طبلة أذنها وكسرت يدها.

الحاجة زهرة: أصيبت في رأسها ورجلها وصدرها وفقدت النظر في عينها الوحيدة السليمة.

خاتون: أصيبت في عينها وفي رأسها. بعد خروجها من المستشفى، أودعتها زينب لدى معارف لهم في الجنوب.

لا تتكلم زينب عما أصابها هي. تتحسر على بيت صهرها وأرضه ورزقه. تتحسر على بيتها الذي لم يعد صالحا للسكن: "وين بدنا نروح بس نطلع من المستشفى؟ نحن مدنيين، شو ذنبنا؟ كيف نعوّض خسارة أختي؟ كان إلنا نصيب نقعد معها في أيامها الأخيرة".

"هذه هي الحرب"، تقول زينب، "عرفنا حربا استمرت سبعة عشر عاما (سنوات الاحتلال) ولكننا لم نخبر شيئا يشبه هذا ـ صح كان الناس قلال بالبلد وإذا عملوا عملية كانوا يفتشوا البيوت، بس متل هيك، ما شفنا".

الحاجة على سريرها، تغفو قليلا وتصحو. تنده عليا أبا الحسين. تطلب أن يعينها. تستمع إلى ابنتها. تستعين بالباري، وترفع صوتها مستذكرة: "ثلاثة أيام بقيت محنّاية بالدم والتراب ـ خرجنا بلا بيت وبلا أغراض. كنتوا شوفوا حالتنا شو شكلها. الأجاويد غسلوني وعطوني هدمة حطيتها علي. كلهم راحوا وتركونا لحالنا وأنا قلبي هابب على بنتي تحت الدمل.. يا ويلاه على الفقير يا بنتي" ●

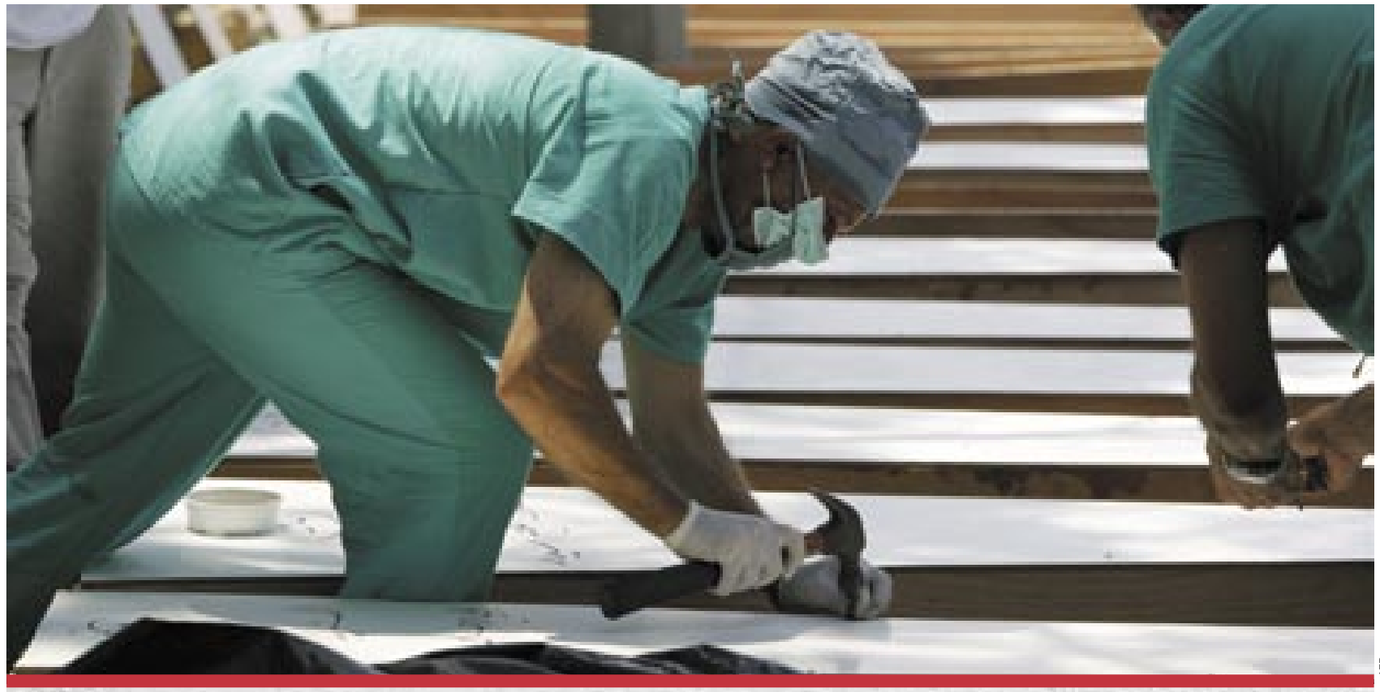

AFP

التمييز بين الضحايا

عن أي أخلاق يتحدث هؤلاء؟

AFP

يشكل مبدأ عدم التمييز الركيزة المحورية للقانون الدولي الإنساني، الذي يهدف، على وجه الخصوص، إلى حل المشاكل الإنسانية الناجمة بشكل مباشر عن النزاعات المسلحة، وصون الكرامة الإنسانية لضحاياها.

محمد سيف

خلال الآونة الأخيرة، وبصفة أخص منذ بداية ما يسمى الحرب على الإرهاب، صرنا نسمع من حين لآخر أصواتا، قد تخرج من هذا المعسكر أو ذاك، تهدف في منطوقها إلى تنحية القانون الدولي الإنساني جانبا، وإيقاف مفاعيله، وهي أصوات تنطلق كلها من خطاب غريب يدعو إلى التمييز، مستهدفا نسف أحد أهم منجزات الإنسانية التي قامت بها لحماية الضحايا، ونعني به فكرة المساواة بين جميع أطراف النزاعات أمام هذا القانون. وليس أدل على بلوغ هذا الخطاب شوطا بعيدا في المغالاة في هذه الفكرة من التصريح الذي أدلى به بعضهم أثناء الحرب الأخيرة على لبنان والذي أوردت الأنباء نصه الذي جاء فيه: "إننا لا نستطيع، من الوجهة الأخلاقية، أن نساوي بين ضحايا وضحايا"!

فعن أي أخلاق يتحدث هؤلاء؟.

إن التمييز، وبالتالي الكراهية والتعصب المتعلقان به، ليست مجرد مشاكل يتعين على المجتمع الدولي، بحثها وعلاجها في وقت السلم فقط، بل يجب أن تنال من البشر جميعا مقاومة أكبر واهتماما على درجة قصوى من اليقظة في أوقات النزاع المسلح. وقد أوضحت النزاعات المسلحة التي نشبت في الآونة الأخيرة في أنحاء متفرقة من العالم، أن عدم المساواة أو إقصاء الشعوب والجماعات والأفراد هو من أهم أسباب النزاعات الدائرة، كما أنه عادة ما يتم تكريسه كنتيجة مؤسفة من نتائج هذه النزاعات.

عدم التمييز محور ارتكاز القانون الدولي الإنساني

بعودة إلى تاريخ نشأة القانون الدولي الإنساني، من المفيد هنا تكرار أن الحاجة الملحة لتقديم المساعدة للجرحى والمرضى من المتحاربين، على أساس من عدم التمييز، كانت هي الدافع الذي حدا بهنري دونان، وهو الأب المؤسس للحركة الدولية للصليب الأحمر لحشد الجهود لصياغة أول معاهدة قانونية دولية إنسانية في التاريخ، وهي اتفاقية جنيف الأولى لعام 1864، التي وضعت أسُس مبدأ ضرورة العناية بالجرحى والمرضى في صفوف المتحاربين، بصرف النظر عن جنسيتهم، ونصت على ضرورة الاعتراف بحياد أفراد الخدمات الطبية، وأدت بالتالي إلى اعتماد الشارة المميزة للصليب الأحمر.

ومنذ ذلك الوقت ظل مبدأ عدم التمييز قاعدة أساسية في القانون الدولي الإنساني، ومُلزمًا لأطراف النزاع المسلح بوجوب معاملة الأشخاص دون أي نوع من التمييز، باستثناء الحالات التي تتطلب احتياجاتها سرعة في تلبيتها. وقد وجد مبدأ عدم التمييز ما يعبر عنه ويوضحه في كثير من القواعد المحددة في اتفاقيات جنيف وبروتوكوليها الإضافيين. فمع مرور الزمن لم تعد اتفاقية جنيف الأولى وحدها التي تقدم الحماية للضحايا في زمن النزاع المسلح، بل أعقبتها اتفاقيات أخرى ونصوص تشكل الآن صرحا كبيرا من صروح القانون الدولي، تأسس بكل تأكيد على الفكرة المحورية الداعية إلى "عدم التمييز بين الضحايا"، فعلى سبيل المثال، تنص الاتفاقيتان الأولى والثانية من اتفاقيات جنيف على وجوب معاملة الجرحى والمرضى وضحايا السفن الغارقة من أفراد القوات المسلحة وغيرهم من الأفراد المحميين بطريقة إنسانية ومعاملتهم معاملة حسنة من الطرف المشارك في النزاع الذين يخضعون لسلطته، وذلك دون أي تمييز مجحف قائم على أساس الجنس أو العنصر أو الجنسية أو الديانة أو الآراء السياسية أو أية معايير مماثلة أخرى. كما تحظر الاتفاقيتان بقوة أي محاولة للاعتداء على حياتهم أو القيام بأعمال عنف ضدهم، وتحظر على وجه الخصوص اغتيالهم عمدًا أو إبادتهم جسديًا أو تعريضهم للتعذيب أو للتجارب المعملية أو تركهم عمدًا دون عناية أو مساعدة طبية أو تركهم في ظروف تعرضهم لالتقاط عدوى الأمراض أو خلق ظرف للعدوى بها. وتعطي هاتان الاتفاقيتان للمبررات الطبية العاجلة وحدها الحق في ترتيب الأولوية في نظام العلاج الذي يقدم للمرضى، كما تؤكدان على ضرورة معاملة النساء بالتقدير الواجب نحو جنسهن.

لذا، فمفهوم عدم التمييز المجحف ـ الذي توجد له نظائر في الصكوك الدولية لحقوق الإنسان ـ يطبق في كل حالات النزاعات المسلحة الدولية وغير الدولية.

عدم التمييز وحماية المدنيين

وتنص المادة 13 من اتفاقية جنيف الرابعة على أن "الإجراءات الخاصة بالحماية العامة للسكان المدنيين من عواقب معينة للحرب (على سبيل المثال إنشاء المستشفيات ومناطق آمنة ومناطق محايدة وحماية المستشفيات المدنية والعاملين بها والمرور الآمن لإمدادات الإغاثة ... إلخ) تشمل كل سكان الدول المشاركة في النزاع دون أي تمييز مجحف يقوم، خاصة، على أساس العنصر أو الجنسية أو الديانة أو الآراء السياسية". وبموجب المادة 27 من نفس الاتفاقية فإن من حق المدنيين، في كل الأحوال، أن يعاملوا باحترام لأشخاصهم وشرفهم وحقوقهم الأسرية ومعتقداتهم الدينية وممارسة هذه المعتقدات وعاداتهم وتقاليدهم.

●●●

●●● كما يتضمن البروتوكول الأول الإضافي لعام 1977، والمتعلق بحماية ضحايا النزاعات المسلحة الدولية، أحكامًا هامة تتعلق بعدم التمييز. فالمادة 75 وعنوانها "الضمانات الأساسية" تهدف إلى ضمان حد أدنى من معايير معاملة الأشخاص الخاضعين لسيطرة أحد أطراف النزاع الدولي، والذين لا يستفيدون من معاملة أفضل بموجب أحكام أخرى. وتنص هذه المادة على أن يعامل هؤلاء الأشخاص معاملة إنسانية وأن يتمتعوا، كحد أدنى، بالحماية التي تكفلها لهم هذه المادة دون أي تمييز مجحف يقوم على أساس العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو العقيدة أو الرأي السياسي أو خلافه أو الانتماء القومي أو الاجتماعي أو الثروة أو المولد أو أي وضع اجتماعي آخر أو على أساس أية معايير مماثلة أخرى.

الفصل العنصري انتهاك جسيم

وبطبيعة الحال فإن عدم التمييز العنصري يعد المبدأ الأساسي ليس فقط بالنسبة للقانون الدولي لحقوق الإنسان ولكن أيضا بالنسبة للقانون الدولي الإنساني، فهو يلزم الأطراف المشاركة في النزاع المسلح بعدم التمييز بأي شكل من الأشكال في معاملة الضحايا. ويورد البروتوكول الأول الإضافي قائمة بالأعمال التي تعد مخالفات جسيمة للبروتوكول. ومن بين هذه المخالفات "ممارسة الفصل العنصري وغيرها من الممارسات غير الإنسانية المُحِطة من قدر الإنسان بما فيها انتهاك الكرامة الشخصية على أساس التمييز العنصري". وتعد الانتهاكات الجسيمة أعمالًا ضارة للغاية بمصالح المجتمع الدولي وتخضع لأحكام السلطة القضائية العالمية الإلزامية، وهذا يعني أن على كل الدول الالتزام بالبحث عن مرتكبي هذه الأعمال الإجرامية وتقديمهم، بصرف النظر عن جنسيتهم للمحاكمة أمام محاكمها، أو محاكمتهم في دولة أخرى استطاعت أن تجد أسبابًا كافية لمحاكمتهم وإثبات واقعة الدعوى.

عدم التمييز في النزاعات غير الدولية

وبالنسبة للبروتوكول الثاني الإضافي لعام 1977 والمتعلق بحماية ضحايا النزاعات المسلحة غير الدولية فهو يطور ويكمل المادة 3 المشتركة بين اتفاقيات جنيف. ويُطبَّق البروتوكول في النزاعات التي تندلع في أراضي دولة تكون طرفًا في نزاع مسلح ناشب بين قواتها المسلحة النظامية وقوات مسلحة متمردة تمارس تحت قيادة مسؤولة نوعًا من التحكم في جزء من الأراضي بدرجة تجعلها قادرة على شن عمليات عسكرية منسقة ومتواصلة.

ونظرًا إلى أنه تتوفر للبروتوكول مجالات أوسع في التطبيق عن المادة 3 المشتركة بين الاتفاقيات، فهو يؤكد أيضًا الأهمية الأساسية لمبدأ عدم التمييز. وتنص المادة 2 من البروتوكول وعنوانها "المجال الشخصي للتطبيق" على أن البروتوكول يسري على كافة الأشخاص الذين يتأثرون بنزاع مسلح دون أي تمييز مجحف على أساس العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو العقيدة أو الآراء السياسية أو غيرها أو الانتماء الوطني أو الاجتماعي أو الثروة أو المولد أو أي وضع آخر أو أية معايير مماثلة أخرى.

والدارس لأحكام ونصوص القانون الدولي الإنساني لا تفوته ملاحظة التكرار المستمر لمسألة التزام الأطراف بعدم ممارسة التمييز فيما يتعلق بأحكامه وبضرورة توفير الضمانات الأساسية لهذا الالتزام، وننوه هنا خصوصا بما ورد في البروتوكول حول هذه "الضمانات الأساسية" تحت عنوان "المعاملة الإنسانية"، إذ ينص على أن "يكون لجميع الأشخاص الذين لا يشتركون بصورة مباشرة أو الذين يكفون عن الاشتراك في الأعمال العدائية ـ سواء قيدت حريتهم أو لم تقيد ـ الحق في التمتع بالاحترام لأشخاصهم وشرفهم ومعتقداتهم وممارستهم لشعائرهم الدينية. ويجب أن يعاملوا في جميع الأحوال معاملة إنسانية دون أي تمييز مجحف".

تطبيق القانون الدولي الإنساني

إن اللجنة الدولية للصليب الأحمر بصفتها المكلفة من قبل المجتمع الدولي برعاية القانون الدولي الإنساني تبدي باستمرار اهتمامًا خاصًا بضرورة احترام قواعد القانون الدولي الإنساني وكفالة هذا الاحترام في جميع الأحوال، كما تنص على ذلك المادة الأولى من اتفاقيات جنيف والبروتوكول الأول الإضافي، كما تؤكد باستمرار في كل ما يصدر عنها من مواقف أن احترام القانون الدولي الإنساني يعني أن الدول عليها واجب اتخاذ التدابير اللازمة لتنفيذ واحترام الالتزامات المتعلقة بالمعاهدات. ومن بين هذه التدابير الالتزام باعتماد تشريعات لتنفيذ المعاهدات، وعلى وجه الخصوص، الالتزام بإعداد قوانين وطنية لمحاكمة ومعاقبة الأشخاص المتهمين بارتكاب انتهاكات جسيمة للاتفاقيات والبروتوكول الأول.. وكما جاء ذِكرُه فإن قائمة المخالفات الجسيمة تضم "ممارسات الفصل العنصري، وغيرها من الممارسات غير الإنسانية والمُحِطة من القدر، والتي تشمل امتهان الكرامة الشخصية على أساس التمييز". كما تشمل الاستجابة لالتزامات المعاهدات أيضًا واجب الحكومات لنشر قواعد القانون الدولي الإنساني على أوسع نطاق ممكن بين أفراد القوات المسلحة وبين السكان المدنيين في وقت السلم وفي وقت النزاع المسلح على السواء.

وثمة مظهران لمواجهة المخالفات الجسيمة. أولهما على الحكومات اتخاذ الإجراءات التشريعية اللازمة لإقامة نظام ملائم لمعاقبة الأشخاص الذين ارتكبوا أو أمروا بارتكاب المخالفات الجسيمة. وثانيهما وجوب خضوع المخالفات الجسيمة للسلطة القضائية العالمية الإلزامية.

وعلى حين لم تحدد المادة 3 المشتركة بين اتفاقيات جنيف والبروتوكول الثاني الإضافي صراحة المسؤولية الجنائية الدولية للأشخاص المتهمين بانتهاك أحكامها، فإن الأمر قد استقر حاليًا على اعتبار أعمال معينة ترتكب في النزاعات المسلحة غير الدولية على أنها أيضًا جرائم حرب، يجب أن تمارس الدولة عليها السلطة القضائية العالمية. وجاء الدليل على صحة وجهة النظر هذه فيما حدث في الفترة الأخيرة من إخضاع جرائم الحرب التي ارتكبت في نزاعات داخلية للسلطة القضائية للمحكمة الجنائية الدولية إضافة إلى ما قامت به اللجنة التحضيرية التابعة للأمم المتحدة حول المحكمة الجنائية الدولية من عمل، أوضحت فيه العناصر التي تشكل مثل هذه الجرائم.

عدم التحيُّز مبدأ أساسي لحركة الصليب الأحمر والهلال الأحمر

إن عدم التمييز هو العنصر الأساسي لمبدأ عدم التحيز، وهو واحد من سبعة مبادئ أساسية توجه عمل الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر. وطبقًا لنظامها الأساسي فإن الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر ـ التي تشكل اللجنة الدولية للصليب الأحمر جزءًا منها ـ لا تمارس أي تمييز على أساس الجنسية أو العرق أو المعتقدات الدينية أو الطبقة الاجتماعية أو الآراء السياسية. وهي تسعى إلى تخفيف معاناة الأفراد، مسترشدة فقط باحتياجاتهم، وإلى إعطاء الأولوية لأكثر الحالات كربًا وإلحاحًا. وهذا يعني وجوب الاعتراف بكل الأفراد على أساس المساواة الكاملة، وضرورة معاملتهم على هذا الأساس، وأن احتياجات الضحايا هي المعيار الوحيد الذي يتم بناء عليه تزويدهم بالمساعدات والحماية. إضافة إلى ذلك، وطبقًا للمبدأ الأساسي للحياد، فإن حركة الصليب الأحمر والهلال الأحمر لا تساند أي طرف خلال الأعمال العدائية أو تتورط في أي وقت في مجادلات ذات طابع سياسي أو عرقي أو ديني أو مذهبي. ولأن أنشطة اللجنة الدولية للصليب الأحمر تستند إلى هذه المبادئ الأساسية، فهي تضع على رأس أولوياتها تذكير الحكومات بضرورة التطبيق المستمر والمنتظم لهذه المبادئ، التي في القلب منها مبدأ عدم التمييز.

وإذا كان البروتوكول يشير إلى أن أعمال الإغاثة تخضع لاتفاق الأطراف المعنية، إلا أنه ينبغي أن نلاحظ أنه طبقًا للتفسير المتفق عليه بشكل عام يجب على الدولة قبول أعمال الإغاثة عندما تستوفى الشروط المطلوبة، ومنها على سبيل المثال، عندما لا يتم تزويد السكان المدنيين بالمؤن الكافية وعندما تكون الإغاثة، التي هي بطبيعتها إنسانية وغير متحيزة، متوفرة. وبالمثل، يُذكَر عدم التحيز كشرط لتسليم مواد الإغاثة التي تقدمها المنظمات الإنسانية لسكان المناطق المحتلة، وذلك بموجب المادة 59 من الاتفاقية الرابعة.

وتشتمل قواعد القانون الدولي الإنساني المطبقة في النزاعات المسلحة الداخلية على أحكام مماثلة. وهكذا، فإن المادة 3 المشتركة بين اتفاقيات جنيف تنص على أنه "يجوز لهيئة إنسانية غير متحيزة مثل اللجنة الدولية للصليب الأحمر أن تعرض خدماتها على أطراف النزاع". إن مثل هذا العرض لا يمكن رفضه بشكل تعسفي عندما يكون مقدمًا من هيئة غير متحيزة. كما يشرح البروتوكول الثاني الإضافي أعمال الإغاثة التي يجوز مباشرتها في حالات النزاع المسلح غير الدولي. فبناء على المادة 18 أعمال الإغاثة "ذات الطابع الإنساني والحيادي البحت وغير القائمة على أي تمييز مجحف، تقدم لصالح السكان المدنيين بموافقة الطرف السامي المتعاقد المعني" ويظل ما سبق ذكره صالحًا للتطبيق على الوجه التالي: إذا ما تلقى طرف ما عرضًا بالمساعدة من منظمة إنسانية تلبي المطلوب من شروط عدم التحيز، فإن مثل هذا الطلب لا يمكن رفضه دون ذِكر أسباب وجيهة لذلك.

كلمة أخيرة

إن مبدأ عدم التمييز هذا الذي بذل البشر تضحيات كثيرة وغالية من أجل أن يتوصلوا إلى صياغته في نصوص قانونية تعد ضمانة أساسية للضعفاء، هو ذاته الذي يتعرض اليوم من قبل بعض الأصوات للهجوم. وهو هجوم لابد أن نتوقف أمامه. فهذا المبدأ بحاجة فعلية إلى تنظيم الحماية الفعالة له، ليس فقط من جانب العاملين في المجال الإنساني، وإنما من جانب كل المهتمين بفكرة تحقيق عالم أفضل، ولا نغالي إذا أضفنا أن حماية هذا المبدأ والدفاع عنه تعد واجبا أخلاقيا على جميع الناس، بما يعيد للأخلاق مكانها ويصحح الصورة التي يحاول البعض أن يلصقها بها من خلال دعوته إلى التمييز بنسبة ذلك التمييز إلى الأخلاق!.

إنه واجب الدفاع عن شرف ميراث نضال إنساني طويل من أجل التحضر، ومن أجل توفير الحماية للبشر.. كل البشر ●

عدم التمييز وحماية كرامة الإنسان*

تتطلب حماية كرامة الإنسان تجديد الشراكة بين الدول ومكونات الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر، لتفعيل احترام جميع أبناء البشر بروح من التضامن بغض النظر عن أصلهم أو معتقداتهم أو أديانهم أو وضعهم القانوني أو جنسهم. لذا تتعهد الحركة بالتأكيد مجدداً على مبادئ وقواعد القانون الدولي الإنساني وتطبيقها، بما في ذلك القواعد العرفية، وتعزيز احترام المبادئ والقيم الإنسانية ونشر التسامح وعدم التمييز واحترام التنوع بين الناس.

إن ثمة تهديدات أمنية جديدة تعرض العالم للخطر اليوم، فما زالت النزاعات المسلحة والعنف العشوائي وأعمال الرعب تهدد أمن وسلامة عدد لا يحصى من الناس وتقوض الجهود الرامية إلى إحلال السلم الدائم والاستقرار في العالم.

ونحن نؤكد من جديد على مسؤولية كافة الدول في احترام القانون الدولي الإنساني وضمان احترامه بصرف النظر عن طبيعة النزاع أو مصدره. كما نطالب الدول باستخدام آليات التنفيذ القائمة، عملاً بالالتزامات الدولية التي تعهدت بها. ويتعين على الدول نشر القانون الدولي الإنساني لدى قواتها المسلحة والسكان المدنيين.

واقتناعاً منا بأن أحكام القانون الدولي الإنساني القائمة تشكل قاعدة مناسبة لمواجهة التحديات التي تولدها النزاعات المسلحة الحديثة، فإننا نهيب بجميع أطراف النزاع المسلح أن تحترم سائر المعاهدات المنطبقة والقواعد العرفية للقانون الدولي الإنساني. ونناشد كافة أطراف النزاع المسلح بذل كل الجهود للحد من أعمال القتل والجرح والمعاناة التي تحدث عرضاً أو عمداً في حق السكان المدنيين. وينبغي دعم مبدأ التمييز بين السكان المدنيين والمقاتلين وبين الأهداف المدنية والعسكرية أثناء إدارة العمليات الحربية في جميع الأوقات. كما نطالب جميع أطراف النزاع المسلح باتخاذ كافة التدابير الاحترازية الممكنة لتخفيض الخسائر والأضرار التي تلحق بالمدنيين عرضاً. ونحث أطراف النزاع المسلح كافة على كفالة الاحترام والحماية الخاصين للنساء والأطفال طبقاً للقانون الدولي الإنساني.

بالإضافة إلى هذا يجب حماية التراث الثقافي للشعوب. ونناشد جميع أطراف النزاع المسلح اتخاذ كل التدابير الممكنة لمنع نهب الممتلكات الثقافية وأماكن العبادة والأعمال العدائية ضد مثل هذه الممتلكات غير المستخدمة لأغراض عسكرية، وكذلك منع وقوع الآثار الضارة بالبيئة. كما ندعو الدول أن تستجيب تماماً لأحكام القانون الدولي الإنساني، لا سيما اتفاقية جنيف الرابعة بغية حماية ومساعدة المدنيين في الأراضي المحتلة. فالقانون الدولي الإنساني ينطبق على جميع حالات النزاع المسلح والاحتلال الأجنبي. ونحن ندين بشدة جميع أعمال العنف أو التهديد بالعنف التي ترمي إلى زرع الرعب في نفوس السكان المدنيين. كما نذكِّر بالحماية التي يكفلها القانون الدولي الإنساني للأشخاص المحتجزين على أثر النزاعات المسلحة. وينبغي معاملة جميع المحتجزين معاملة إنسانية وبالاحترام اللازم لكرامتهم. ويمكن حماية وصيانة الكرامة الملازمة لكل كائن بشري على نحو أفضل من خلال التطبيق التام للقانون الدولي الإنساني وقانون حقوق الإنسان وقانون اللاجئين بشكل مناسب. بالإضافة إلى هذا نؤكد أنه ما من دولة أو مجموعة أو فرد فوق القانون ولا يجوز اعتبار أي أحد أو معاملته وكأنه يعلو عليه.

ونظراً لانزعاجنا الشديد من العدد المتزايد من أعمال العنف أو التهديدات الموجهة ضد العاملين في المجال الإنساني، فإننا نعلن أنه يجب احترامهم وحمايتهم في جميع الأحوال أثناء أداء دورهم الحيوي المتمثل في منع المعاناة وتخفيفها. وينبغي التأكيد مجدداً على استقلالهم عن الجهات السياسية والعسكرية. فالدول مطالبة بضمان عدم إفلات مرتكبي الجرائم ضد العاملين في الحقل الإنساني من العقاب، كما أن عليها شجب مثل هذه الجرائم وبذل ما في وسعها للحيلولة دون وقوع هجمات على العاملين في الحقل الإنساني والإغاثة.

علاوة على هذا يجب السماح للعاملين في المجال الإنساني بالمرور بحرية ودون عائق حتى يتسنى لهم الوصول إلى السكان المتضررين من النزاعات المسلحة والكوارث والأمراض أو الواقعين تحت الاحتلال الأجنبي طبقاً للقواعد التي ينص عليها القانون الدولي ذي الصلة. كما نجدد التأكيد على مسؤولية الدول في احترام انضمام مكونات الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر للمبادئ الأساسية من أجل توفير الحماية والمساعدة دون تحيز وبحياد واستقلال إلى جميع الأشخاص الأكثر حاجة. كذلك نؤكد مرة أخرى على مسؤولية مكونات الحركة في التعاون مع الدول وفق المهام الموكلة لكل واحد منها وطبق النظام الأساسي للحر كة ●

(*) مقتطفات من الإعلان الصادر عن المؤتمر الدولي الثامن والعشرين للحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر

AP

الصليب الأحمر اللبناني

إنقاذ الأرواح وردّ الاعتبار لكرامة الإنسان

ماركو كوكيتش* وإياد المنذر**

في تلك الأحداث قامت جمعية الصليب الأحمر اللبناني بتقديم المساعدة إلى الأشخاص الأكثر احتياجًا بفضل جهود متطوعيها والدعم الكامل للجنة الدولية للصليب الأحمر.

أسفر النزاع الذي شهده لبنان عن كارثة إنسانية كان من نتائجها وقوع أعداد كبيرة من القتلى وجرح الآلاف ونزوح مئات الآلاف من المدنيين، بخلاف الدمار الهائل الذي لحق بالمدن والقرى والبيوت، التي تحولت إلى مناطق أشباح، أو إلى قبور دكت على ساكنيها.

كانت أصداء الصلوات التي تبثها مكبرات الصوت تصل إلى كافة أنحاء وسط بيروت، وكان الصوت الحزين يمتزج بالكآبة التي غرقت فيها المدينة. فقد أمست الشوارع المكتظة عادة بالناس والسيارات هادئة، وأقفل العديد من المحلات. أما بعضها القليل الذي ظل مفتوحًا فقد راحت أجهزة التليفزيون به تنقل الأخبار التي تتحدث عن يوم آخر من القتال ويوم آخر من الرعب.

على مدار الساعة، كانت النشرات الإخبارية تبث صور المدنيين القتلى والجرحى الذين وجدوا أنفسهم في قلب النيران والجهود البطولية التي تبذلها فرق الإسعاف التابعة للصليب الأحمر اللبناني. فكان أول ما تراه هو فرق الإسعاف من المتطوعين ينقذون من بقي على قيد الحياة وينتشلون الجثث. وقد بدا بوضوح أن عملهم محفوف بالمخاطر وليس لديهم غير شارة الصليب الأحمر لحمايتهم.

القيام بالواجب رغم الخطر

في دوامة هذه اللحظات المشدودة، وقعت حادثة تبرز مدى خطورة عملهم، إذ أصاب صاروخ سقف إحدى سيارات الإسعاف التي كانت تنقل الجرحى وأحدث ثقبًا بحجم لا يستهان به وسط شارة الصليب الأحمر الموجودة على سقف السيارة. كما أصيب أفراد فريق الإسعاف بجروح طفيفة ولكن أحد المرضى فقد قدمه من جراء الحادث.

كانت فرق إسعاف الصليب الأحمر تنقل المصابين بجروح بالغة إلى مستشفيات بيروت. وقد جرح آلاف المدنيين حتى ما قبل الأسبوع الأخير من القتال، منهم ابنة التاسعة سماح شهاب التي تتعافى في المستشفى الجامعي الحكومي في بيروت. هذه الطفلة أصابتها القذيفة وهي تلعب أمام منزلها في مدينة صور.

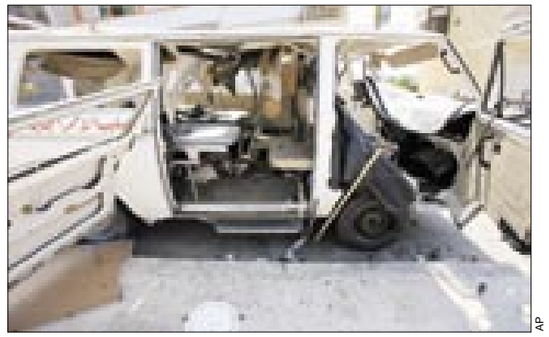
AP

(*) عضو ببعثة اللجنة الدولية في لبنان.
(**) يعمل بقسم الإعلام بجمعية الصليب الأحمر اللبناني.

كان المستشفى حديثا ومجهزا تجهيزًا كاملًا إلا أنه، بفعل ظروف الحرب، كان يعاني من نقص في الموظفين. وقد أوضح لنا السيد بلال مصري، مساعد المدير العام، وضع المستشفى قائلا: "لقد تسلّمنا مستلزمات طبية ولكننا لم نحصل على مساعدة طبية مباشرة. إننا نعمل حاليًا بثلاثين في المائة فقط من طاقتنا، لأن الموظفين لا يتمكنون بسبب الأوضاع الأمنية من الوصول إلى المستشفى".

نازحون من الجحيم

لقد هرب العديد من الناس من المناطق التي تشهد معارك دامية في الجنوب في حين ظل آخرون محاصرين في منازلهم، فسواء غادرت البيت أو بقيت فيه تتعرض للخطر نفسه. هكذا بدا المشهد: السيارات المقصوفة تنتشر على طول الطريق المؤدية إلى الجنوب. وظلت الجثث موجودة في البعض منها ولم يكن بوسع متطوعي الصليب الأحمر انتشالها بسبب الوضع الأمني السائد في تلك المناطق والذي ظل باستمرار في غاية الخطورة.

لقد نزح ما يقدر بما يزيد على المليون مدني والتجأ الكثيرون للإقامة في المدارس والمباني العامة الأخرى. على هذا النحو أقام حسن محمد عبدي وعائلته في إحدى المدارس في جبل لبنان بالقرب من بيروت. كانوا قد وصلوا قبل بضعة أيام من قرية "ياطر" في الجنوب حيث ظلوا محاصرين وسط المعارك لمدة أسبوعين تقريبًا. وعندما أصبح الوضع غير محتمل، خاطروا بحياتهم وغادروا القرية، آخذين معهم ما يمكنهم حمله.

كان حسن يقول: "لقد خسرنا كل شيء، خسرنا منزلنا وممتلكاتنا وحتى كرامتنا، إذ صار علينا الآن أن نعتمد على إرادة الناس الطيبة للبقاء على قيد الحياة".

وبطبيعة الحال كان من الممكن، رغم ذلك، اعتبار حسن وعائلته من المحظوظين. ففي بيروت، لم يعد هناك مكان فارغ في المباني العامة لاستقبال النازحين. أما حديقة الصنائع، فقد اكتظت بالمئات من النازحين الذين كانوا ينامون في العراء. ●●●

••• من ضاحية بيروت التي تعرضت لقصف مكثف وعنيف، هرب حسن الضاهر مع زوجته ميرفت وأولاده الأربعة. قال الرجل: "لا يزال من الخطر العودة إلى الضاحية ولا أعرف ما إذا كان منزلي لا يزال قائمًا أم تم تدميره. لا نريد مغادرة بيروت فبعض المدارس خارج المدينة مكتظة بالناس وهي ليست نظيفة". أضافت ميرفت مؤكدة على ما قاله زوجها: "حتى الآن، نحن أفضل حالًا هنا".

الرعاية الصحية

كانت فرق الجمعية تقدم المساعدة للنازحين، وفي كافة أرجاء البلاد راح الصليب الأحمر اللبناني يبذل كل ما بوسعه. ففي بيروت، فتح مستوصف الصليب الأحمر اللبناني أبوابه يوميًا وظل يقدم الاستشارات الطبية والأدوية مجانًا ويحيل من هم بحاجة إلى رعاية خاصة إلى المستشفيات.

وفي قاعة مكتظة بالناس، قام المتطوعون بمساعدة الأطباء بتولي فرز المرضى وإعداد الوصفات الطبية. في هذه القاعة كان يجري فحص مئات المرضى يوميًا.

الدكتور حسن فياض طبيب المستشفى ذكر لنا أن معظم الحالات التي كان يعاينها هي لأشخاص يعانون من أمراض مزمنة ولكن هناك أيضًا أشخاصًا يعانون من التهاب تنفسي حاد وإسهال بالإضافة إلى عوارض التوتر لاسيما عند الأطفال.

خدمات الرعاية النفسية

في مدينة طرابلس الشمالية، قام متطوعو الصليب الأحمر بتأمين خدمات الرعاية النفسية للنازحين الذي يعانون من صدمات نفسية من جراء القتال. وكما شرحت لنا سارة بيطار، وهي متطوعة في الصليب الأحمر اللبناني: "نجد أن الكثير من الأطفال لا يفصحون عن مشاعرهم بشكل صريح، لذا نقوم معهم بأنشطة من شأنها أن تجعلهم يعبرون عن أنفسهم، مثلًا من خلال الرسم أو الألعاب".

أضافت زهرة، وهي متطوعة أخرى في الصليب الأحمر: "من المهم أن تقدم إلى الناس مواد أساسية مثل الغذاء والمياه والملجأ والأدوية ولكن كل ذلك لا يكفي في بعض الأحيان. وغالبًا ما يقول لنا النازحون إن ما يحتاجون إليه هو أن نبقى بجوارهم للتحدث معهم".

مخايل جبيلي
شهيد في سبيل الإنسانية

مخايل مارون جبيلي، جندي سقط على أرض المعركة، جندي لكنه لا يرتدي بزة عسكرية فبزته أرجوانية، لون اللباس المعتمد لفرق الإسعاف الأولي في الصليب الأحمر اللبناني، مخايل تطوع لا ليحمل السلاح بل ليضمد الجروح التي تخلفها الأسلحة، واستشهد بينما كان يقوم بواجبه الإنساني على أرض شهدت معركة غير متكافئة بين معتد من حديد ونار ومعتدى عليهم أعزل من لحم ودم.

المسعف مخايل مارون جبيلي ابن الخمسة وثلاثين عاما أب لولدين، تطوع في فرق الإسعاف الأولي في مركز الصليب الأحمر اللبناني في زحلة (البقاع) عام 1999 وكان في عداد فرق الإسعاف التي هبت لإغاثة الضحايا في موكب النازحين الآتين من منطقة مرجعيون باتجاه البقاع قاصدين مناطق آمنة عندما انصبت عليهم ليل السبت، الحادي عشر من أغسطس/ آب 2006 صواريخ طائرات الاستطلاع الإسرائيلية على طريق كفريا ـ جب جنين، موقعة ضحايا في صفوفهم بين كر وفر مع الصواريخ التي كانت تتساقط من دون انقطاع، وفي أكثر من غارة، وتمكن مخايل مع زملائه المسعفين من إجلاء عدد من المصابين ونقلهم إلى سيارات الإسعاف التي تعذر عليها الوصول إلى موقع الأحداث بسبب تواصل القصف، وفي ظل عدم الاستجابة لتأمين غطاء الحماية لأعمال الإغاثة. لكن المسعفين وإن اتخذوا كامل احتياطات الحماية إلا أنهم لم يتركوا الميدان بل واصلوا أعمال الإغاثة في واقع يحيط به الخطر من كل الجهات، ونداءات الاستغاثة من المدنيين المصابين تصم الآذان.

آخر عمل قام به المسعف مخايل هو مساعدة جريح أصيب في ساقه محاولا نقله إلى سيارة اسعاف، إذ راح يمد له يد العون قبل أن يعود أدراجه للالتحاق بزملائه لكن القصف لم يكن يميز بين مدني ومسعف ومقاتل، فانفجر صاروخ قربه وسقط مخايل على الأرض مضرجا بدمائه؛

المسعف مخايل جبيلي هو الشهيد الأول للصليب الأحمر اللبناني في هذه الحرب التي عاناها اللبنانيون، لكي يلتحق بقافلة شهداء هذه المؤسسة المنحازة دائما إلى الإنسان، والتي قدمت اثني عشر شهيدا خلال الأحداث التي مر بها لبنان.

أمام مستشفى تل شيحا في زحلة حيث نقل جثمان مخايل كان المسعفون من عناصر الصليب الأحمر اللبناني الذين كانوا طوال الأسابيع الماضية يتحدون النار والدمار الذي تخلفه الغارات الإسرائيلية من أجل إغاثة الضحايا، يقفون مشدوهين وكأنهم غير مصدقين ما حصل! فمنهم من جلس أرضا يبكي ومنهم من وقف صامتا يتأمل؛ هؤلاء هم رسل الرحمة وقد شهدوا على مدى ثلاثين يوما من الحرب القاسية في كل معاييرها الكثير من المآسي وأغاثوا بأيديهم الكثير من الضحايا البريئة التي أزهقت أرواحها من دون رحمة، لكن وقع الخسارة في ذلك اليوم كان له طعم أشد مرارة، فقد كسرت ظهرهم واقعة استشهاد زميلهم؛

لكن هذه الخسارة على مرارتها، لن تقوى على الحط من عزيمتهم في مواصلة رسالتهم الإنسانية، وفي تلبية نداء الضحايا، مهما بلغت الصعوبات والتضحيات، باسم مخايل جبيلي، وشهداء الصليب الأحمر اللبناني، وباسم الإنسان، ومن أجله وإلى أبعد من الواجب ●

إياد المنذر

يعمل الصليب الأحمر اللبناني بلا كلل لتوفير المواد الأساسية للنازحين. وفي جبل لبنان، قام متطوعو الصليب الأحمر بتسجيل النازحين لتحديد حاجاتهم. وقد وزعوا مؤخرًا على الناس الذين تم تسجيلهم شحنة من مستلزمات النظافة والبطانيات التي وفرتها اللجنة الدولية.

النازحون في حديقة الصنائع كانوا أيضا موضع رعاية المتطوعين. ففي اليوم نفسه، وزع متطوعو الصليب الأحمر شحنة من البطانيات وفرش النوم والقماش المشمع التي وفرتها اللجنة الدولية، كما تجمعوا ليشكلوا بأيديهم خطًا وضعت وراءه مواد الإغاثة. وساعدت المنظمات المحلية على إجراء عمليات التوزيع بطريقة منظمة.

المياه .. المياه

في غمرة هذه الأحداث، كان توفير المياه النظيفة أمرا حيويا بالنسبة للنازحين، وقد استأجر الصليب الأحمر اللبناني صهريجين صغيرين للمياه وقام بتوزيع مياه الشرب على المدارس التي التجأ هؤلاء إليها. كما قام مهندسو المياه والصرف الصحي في اللجنة الدولية بتقديم كل المساعدة المطلوبة في تدريب المتطوعين على تأمين أن تكون المياه الموزعة صالحة للشرب.

قال لنا ناجي قربان، المهندس في قسم المياه والسكن في اللجنة الدولية، متناولًا جرعة من المياه للقيام باختبار أخير: "إن المياه التي نوفرها للناس في المدارس هي نفسها التي تمر في كل حنفيات بيروت، فهي تحتوي على الكلور وهي صالحة للشرب".

لقد فاوضت اللجنة الدولية من أجل السماح بمرور ثلاث سفن شحن عبر الحصار البحري إلى بيروت وإلى صور جنوبًا. حملت هذه السفن فرشًا للنوم وبطانيات وقطعًا من القماش المشمع وكميات من الغذاء تكفي عشرات الآلاف من الأشخاص. وراحت قوافل اللجنة الدولية المحملة بالمساعدات الإنسانية تتوجه إلى الجنوب، كلما سمح الوضع الأمني بذلك. وقامت بتوزيع مواد الإغاثة، متى أمكن ذلك، بالتعاون مع الصليب الأحمر اللبناني ومتطوعيه. لكن عدم الاستقرار وحالة الطرقات التي أصابتها أضرار كبيرة كانا يعنيان أن التحدي الأكبر يبقى توصيل المساعدات المناسبة إلى المناطق التي هي في أمس الحاجة إليها ●

"المرض الحقيقي هو الخوف من الحياة، لا من الموت"

نجيب محفوظ

كلمات

"لا أدري كيف حصلت على جائزة نوبل للسلام، لأنني عندما أرى الأطفال يموتون، يتفجر الغضب بداخلي بشكل لا يصدق. من واجبنا نحن كبشر، بغض النظر عن أعمارنا، أن نكون حماة للحياة البشرية"

بيتي ويليامز

الشاعرة الأيرلندية، الحاصلة على جائزة نوبل للسلام

نجيب محفوظ

"بعيدا فيما وراء الأفكار التي تعبر عن الصواب أو الخطأ. هناك حقل سوف ألتقي بك فيه".

مولانا جلال الدين الرومي

"الإنسان ليس عدونا. عدونا ليس هو الآخر. عدونا هو العنف والظلم الذي قد يتواجد فينا أو في الآخر. وعندما نتسلح بالعطف والتفهم، لا نقاتل ضد الآخرين، ولكن ضد الغزو والاحتلال والاستغلال".

ثيش نات هان

الراهب البوذي الفيتنامي

محمد حسنين هيكل

"تعالوا نتفق على الاحتفاظ بلبنان "كسويسرا عرب"، تعالوا نتفق على أن يسعى العالم العربي كله إلى جعل لبنان موقع لقاء"

محمد حسنين هيكل

محمود عبد الفضيل

"إن السلام بالنسبة للكثيرين الذين لم يروا إلا الآلام والشقاء، في حالات الحرب والسلم على السواء، يجب أن يترجم إلى خبز وأرز ومأوى ورعاية صحية وفرص تعليم وكذلك حرية وكرامة إنسانية، فذلك هو معنى السلام بالنسبة لهم"

رالف جونسون بانش

الحاصل على جائزة نوبل للسلام عام 1950

"حينما كان يتفاخر القادة العسكريون الأمريكيون بأنهم سيعيدون العراق إلى العصور الوسطى، وحين يصرح القادة العسكريون الإسرائيليون بأنهم سيعيدون لبنان خمسة عقود إلى الوراء، بفعل الضربات الجوية الممنهجة والمكثفة على مدار الساعة، ألا يرى العالم في ذلك ما يفوق، إنسانيا وحضاريا، مفهوم "أسلحة الدمار الشامل" بالمعنى الدارج للكلمة؟!"

محمود عبد الفضيل

أستاذ الاقتصاد بجامعة القاهرة

صيف ساخن وحزين!

هذا هو التعبير الذي استخدمته الفضائيات في وصفها لما جرى في لبنان من الثاني عشر من يوليو/ تموز، وحتى الرابع عشر من أغسطس/ آب.
ثلاثة وثلاثون يوما من حرب طاحنة عاثت في لبنان خرابا ورعبا وتشريدا.
في حروب القصف هذه، تستشرس طاقة التدمير، مخلفة جروحا تظل غائرة في ضمائر البشر، وآلاما تظل مبرحة في ذاكرة الإنسانية.

AFP

عقب القصف، امرأة لبنانية تقف وسط الحطام باحثة عن بيتها الذي لم يعد له وجود.

REUTERS

وأخرى تزيح بابا لم تعد له ضرورة، بعد أن أصبح مسكنها كومًا من مخلفات الهدم.

AP

.. وثالثة تتطلع إلى ما بقى من منزلها الذي عاشت فيه ما مضى من عمرها.

AFP

ما الذي يمكن أن يصل إليه الرعب أكثر من هذا؟ أم لبنانية لحظة أن أبلغت بمصرع ابنها.

AFP

إنها مأساة النزوح، البعض لم يجد ما ينقله بعيدًا عن الجحيم سوى هذا الجرار الزراعي ومقطورته.

ICRC

AP

كأنه تفصيل في لوحة عبثية، رجل يكنس بعض ما تبقى من مسكنه.

هذا الطابور الذي لا ينتهي من الشاحنات ينقل بقايا مدينة بأكملها .. إنها مخلفات الهدم الذي تسبب فيه قصف ضاحية بيروت الجنوبية.

AP

AFP

وعائلة تفترش الأرض في إحدى الحدائق العامة.

هكذا جلست مستسلمة لمصيرها، كأنها تراقب القدر!

أطفال صغار شردتهم الحرب ينقلون قناني الماء في حديقة الصنائع.

صيف ساخن وحزين !

ICRC

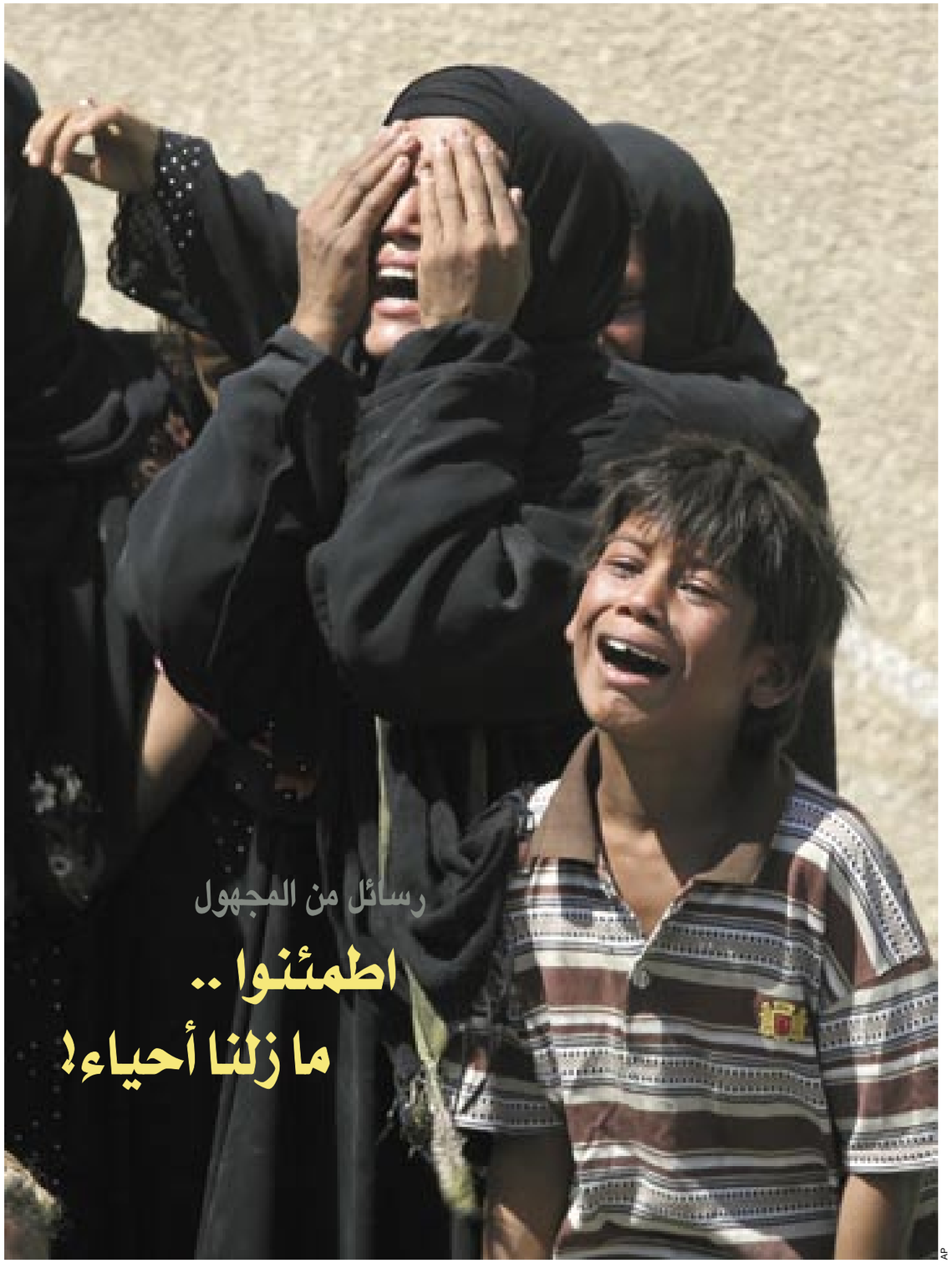

AP

1
الأم

في واحد من الاجتماعات الدورية مع اللجنة الدولية للصليب الأحمر/ بعثة البصرة تسلمت البريد الخاص بالبحث عن المفقودين، ولفت نظري في إحدى الرسائل تشابه اسم ولقب المرسل مع لقب عشيرة والدتي. كانت الرسالة آتية من كرواتيا ولم يكن اسم والد المرسل غريبًا عني فهو يشبه اسم زوج عمة والدتي.

وبمعرفتي بجميع أبناء قريبي هذا خمنت أنه ليس لديه ابن بهذا الاسم. فتبدد عندي الشك بأن هذا المرسل يمت لي بصلة قرابة. وعند عودتي إلى النجف قمت بفرز وتسجيل البريد المستلم لأسلمه لأصحابه وكانت الرسالة المذكورة من ضمنه. وعندما وصلت إلى العنوان المذكور وجدت بناية مهجورة منذ زمن بعيد، ولم يتعرف الجيران على الأسماء المذكورة في الرسالة، فأكملت يومي وعدت لمكتبي. بعد يومين عدت إلى تلك الرسالة لذهني أن آخذها لوالدتي لعلها تتعرف على أصحابها. وعندما ذكرت لها اسم المرسل فوجئت بقولها: هذا ابن عمتي الذي انقطعت أخباره منذ 25 عاما فظنوا أنه ميت منذ ذلك الوقت!. عند ذلك انتبهنا إلى كيفية إخبار والدته كبيرة السن بدون تعريضها إلى صدمة فتوصلنا معًا إلى قرار هو أن نخبر إخوته ونعطيهم رقم الهاتف المذكور ليتأكدوا من أنه حقًا أخوهم وبالفعل تم الاتصال وتبين أنه أخوهم فاتفقنا جميعًا على أن نخبر الأم على أن يجلبوها إلى منزلنا، ومن ثم بقينا نتحين الفرصة لإخبارها. وبمجرد أن قلنا لها أن ابنك بعث لك رسالة أغمى عليها وقمنا بإفاقتها من غيبوبتها راحت تبكي وتصرخ: إنكم تكذبون إنكم تكذبون، وظلت غير مقتنعة إلى أن هاتفته بنفسها. وهي الآن تعيش معه في كرواتيا.

مقدام يعقوب يوسف

2
الابن المفقود

استلمت رسالة من مكتب اللجنة الدولية للصليب الأحمر في محافظه دهوك وفي اليوم الثاني توجهت إلى العنوان المذكور في الرسالة وهو حي قديم يقع وسط مركز المدينة، ولم ألاق صعوبة في إيجاد العنوان وعندما قرعت جرس الباب فتح لي رجل في الثلاثين من عمره، فسألته إن كان هذا منزل الشخص المطلوب، فقال نعم أنا هو، فقلت له: أنا من الهلال الأحمر وأحمل رسالة من ابن عمك (سيتو بارا سيتو) فلاحظت علامات اندهاش بادية على وجهه وقال مذهولا: من؟ سيتو .. هل هو حي! فقلت نعم وهذه رسالة منه وهو في أحد السجون في السليمانية، فنادى بصوت عال إحدى النساء في المنزل وقال لها: اذهبي بسرعة وأخبري فلانًا أن لدينا واحدة من الهلال الأحمر تقول أنها تحمل رسالة من سيتو، فردت المرأة: هل هو حي؟ ثم ذهبت بسرعة باتجاه سلم المنزل وطلب مني الرجل أن أجلس لحين وصول أشقاء المعتقل. وبالفعل حضر، بعد عدة دقائق، شخص ومعه امرأة كبيرة في السن، دخل الاثنان وسلم الرجل، وكان الشحوب والذهول باديين على المرأة فلم تلق السلام، لكنها تقدمت نحوي وأمسكت يدي وقالت: أنت من تحملين خبرا عن ولدي سيتو؟، قلت: نعم.

من هول الموقف لم تستطع المرأة الوقوف فوقعت على الأرض وأصابتها نوبة بكاء شديدة، وعقب قراءة الرسالة قامت المرأة بتقبيلي ومعانقتي وقالت لي لقد كنا نسكن مدينة الموصل وبعد فقدان سيتو انتقلنا إلى دهوك خوفا على ولدي الآخر من أن ينال نفس مصير سيتو لأننا لم نعرف ما أصابه.

حياة عمر أحمد

3
التوجس

عند ذهابي لتوزيع رسالة في منطقة حي النصر بمحافظة كركوك، لم أستطع إيجاد العنوان، فقلت للسائق: قف دقيقة فهناك بعض الناس جالسون، وربما عرفوا عنوان هذا الشخص. ونزلت من السيارة وألقيت عليهم التحية، وقدمت نفسي لهم بأنني من الهلال الأحمر العراقي، وسألتهم: رجاءً هل تعرفون عنوان هذا الشخص لقد بحثت ولم أستطع إيجاد العنوان. فشرعوا بتوجيه الأسئلة لي: "لماذا تبحثين عن هذا الشخص بالذات؟ قلت لهم: إنه مسجون وقد بعث رسالة لأهله وأريد إيصال الرسالة لعائلته ليعرفوا مكان اعتقاله.

قال أحدهم: وما هو الدليل بأنك من الصليب الأحمر؟ قلت له: أنا من الهلال الأحمر، فرع كركوك وأعتقد بأن الشارة والصدرية دليل كاف على ذلك، فلو أرشدتموني إلى العنوان ستكسبون الأجر والثواب.

كنت متأكدة بأنهم يعرفون العنوان جيدًا لأنهم من نفس المنطقة ولكنهم يتوجسون. وقالوا لي لا نعرف هذا العنوان. فشكرتهم وركبت السيارة وقلت للسائق انطلق لنذهب، ومشت السيارة قليلًا فسمعت أحدهم ينادي: ابنتي قفي. ونظرت وراءنا ورأيت أحدهم قام وتوجه نحونا وقال لي: تعالي يا ابنتي، إن هذا المعتقل هو ولدي وأنا والده، وظهر على وجهي التعجب ! فقال لي: لا تتعجبي نحن نخاف على أنفسنا وعوائلنا ولكنني اطمأننت لأنك أقنعتنا مما شجعني على أن أعرفك بنفسي، تعالي يا ابنتي إن ابني مفقود منذ حوالي ستة أشهر ولا أعرف مكانه، تعالي لبيتنا لتعرفي العنوان جيدًا. وبعد أن وصلنا لبيتهم ودخل البيت وأخبرهم بوجود الرسالة سمعنا أصوات البكاء تخرج من البيت ثم أحضروا لنا الشراب وبدت الفرحة على وجوههم وبدأوا بتقديم الشكر لنا وقالوا: نحن لن ننسى موقفكم هذا فأنتم خير منظمة عرفناها في حياتنا وسنبقى على اتصال بكم دائمًا حتى وإن أطلق سراح ابننا.

بيمان محمد محمود

برغم الفوضى الضاربة، يجوب موظفو خدمة البحث عن المفقودين باللجنة الدولية والهلال الأحمر العراقي أرجاء هذا البلد، حاملين للأهل الرسائل التي تبعث فيهم الأمل من جديد.

4
إعلام مصير

في 24/12 من عام 2004 تم اعتقال المواطن المدعو (لفتة حسين دنبوس) وشقيقه اللذين كانا يسكنان قرية أبو سبع في قضاء الميمونة والتي تبعد عن الشارع الرئيسي حوالي مسافة 3 كيلومترات والطريق المؤدي لها هو طريق غير معبد حيث إن عملية الاعتقال تمت بواسطة طائرات مروحية. وبعدها بيومين تم إبلاغي من قبل مكتب اللجنة الدولية للصليب الأحمر في البصرة بأن الشخص المذكور أعلاه موجود حاليًا داخل معتقل الشعيبة ويسمح لذويه بالزيارة. في نفس اليوم وفي الساعة الحادية عشرة صباحًا أخذت سيارة أجرة متوجهًا إلى منزل السيد (لفتة) ولم أكن أعرف العنوان جيدًا، كنت أعرف فقط أنه يقع داخل القرية المذكورة. وبعد أن وصلت إلى القرية وقمت بالاستفسار عن العنوان فوجئت بأن ذلك المنزل يبعد عن القرية 3 كيلومترات والطريق إليه غير معبد أيضًا مما حدا بسائق سيارة الأجرة أن يمتنع عن إيصالي بسبب وعورة الطريق فاضطررت أن اقطع المسافة سيرًا على الأقدام. وبعد أن وصلت إلى الهدف المطلوب وجدت أمامي الأم، سيدة قاربت الستين من عمرها وأكهلها فراق ولديها وبنات قاصرات فلم يكن هناك معيل للعائلة سوى (لفتة)، بعد وفاة الأب. لكن هذا الحزن تحول إلى فرحة كبيرة وزغاريد حال سماعهم هذه الأخبار.

الأهم من ذلك أن عملية إيصال الأخبار تلك تم تداولها بين أهالي القرية والقضاء وحتى مركز المدينة بما مفاده أن موظفًا من الهلال الأحمر قطع مسافة كبيرة في منطقة زراعية خارج حدود مركز المحافظة لإيصال أخبار عن شخص معتقل إلى ذويه.

علي سكر ساهي

لفت انتباهي في مشاهد الانفجار التي نقلها التلفاز حمامة مقتولة على مقربة من مبنى المحكمة. وتداعت لذهني مباشرة صورة البلبل الملقى على الأرض في حديقة مبنى الصليب الأحمر الدولي في بغداد بعد الهجوم الذي تعرّض له!

مات باهر!

د. أحمد خالد الراوي

مات باهر. لا أصدق الخبر.

باهر، الذي كان ساخرا ومستهزئا من الموت ومتحديا له باندفاعه وتحمسه للحياة، مات في منتصف عمره.

كيف يمكن لصديق العمر أن يفارقني بهذه السرعة والسهولة؟!

تساءلت، وأنا أشاهد على شاشة التلفاز حادثة تفجير محكمة كركوك والجثث متناثرة والمصابون على النقالات،

أي ذنب اقترفه هؤلاء الناس؟

عادة ما يسبغ البشر تفسيرات منطقية حول الأحداث ودوافعها، لكن ما يجري في العراق اليوم يتحدى هذه البدهية العقلية، إذ أصبح عديم المعنى فيما الأحداث تسير بعبثية تامة يستحيل معها معرفة الأسباب. وصلنا فيها إلى مرحلة صار فيها منظر الجثث مألوفا إلى درجة أن فقدنا التأثر. غير أنه لدى مقتل عزيز، تأخذ الحادثة بعدًا ثلاثيًا.

كنا معا منذ أكثر من عشرين عاما، يرافق الواحد الآخر.

بدأنا سويًا التملص من اتباع المفاهيم السائدة.

وأخذنا نلتهم الكتب والمراجع وكل ما يصدر حديثًا عن الفيزياء النووية والفلكية والباراسيكولوجيا والفلسفة.

وهنا بدأ الصراع العقلي بين الواقع وما يحمله من بلادة ورتابة وبين النظريات المجردة التي نقلتنا إلى عوالم بعيدة.

ظل باهر ذلك الحالم المصر على مقاومة التيار وعلى صياغة إطار فكره وشخصيته بعيدا عن كل الضغوط والمؤثرات الاجتماعية. وبالرغم من عدم إنهائه الدراسة، فقد أصر على التعلم وانتفض على التقاليد البالية والأعراف الساذجة. كان ثائرا على نفسه أولا، وعلى الآخرين ثانيا. والثورة بالنسبة له، ليست التدمير العبثي بل البحث الدائم عن الجديد والابتكار.

كان شغوفًا لتعلم اللغات من إنكليزية وتركية وروسية وحتى الصينية.

كان مفرط الإحساس لا يبوح بمكنوناته لأي شخص مما أدى إلى اشتعال رأسه شيبا قبل أوانه. وآثر أن يعيش مع معاناته لوحده مما جعله غامضا وغريب الأطوار بالنسبة للغير. لم يكن مبذرا، إنما كان حريصا على القليل الذي يمتلكه، زاهدا في تصرفاته وعنيدا في خياراته وقراراته.

يقال إن كركوك نموذج مصغّر للعراق، ثرية بقومياتها ونفطها وغازها. وقد عشق باهر كركوك وحلم دوما بالزواج من إحدى بناتها، لأنهن يجدن الطبخ ومراعاة أزواجهن على حدّ قوله، وأيضًا لجمالهن.

حتمًا لم يخطر على باله أنه سيُقتل في مدينته الحبيبة.

في الليلة التي سبقت وفاته، فاجأني بمكالمة هاتفية أخذ فيها يمازحني ويهددني بأنه سيقدم إلى عمّان ليعيش في شقتي شرط أن أخدمه طوال فترة إقامته!

ضحكنا معا كثيرا وشعرت بالشوق إليه، كما أشعر في اللحظات التي أكتب فيها هذه الكلمات.

لفت انتباهي في مشاهد الانفجار التي نقلها التلفاز حمامة مقتولة على مقربة من مبنى المحكمة. وتداعت لذهني مباشرة صورة البلبل الملقى على الأرض في حديقة مبنى الصليب الأحمر الدولي في بغداد بعد الهجوم الذي تعرّض له. حينها، وجدت أحد جناحيه مكسورا وآثار دم رطبة في منخريه بينما بقي ريشه اللامع بنظافته مميزا بين التراب والحصى المتناثر في كل مكان. منذ ذلك اليوم، ظلت صورته تراودني وبقيت أتساءل: ما معنى موته، هل هو قتل البراءة والجمال أم ثمة بُعد آخر لا يمكنني سبر غوره؟

ربما كان لمقتل باهر معنى. لعله مات لأنه يحمل الأمل الذي يُقتل والإرادة التي تُقهر والطموح الذي يُكبح والوطنية التي تشوه. وربما... ربما... ربما... لكنني على يقين أن موته خسارة ضاع معناها ولن تعوّض لأهله وأصدقائه ووطنه ●

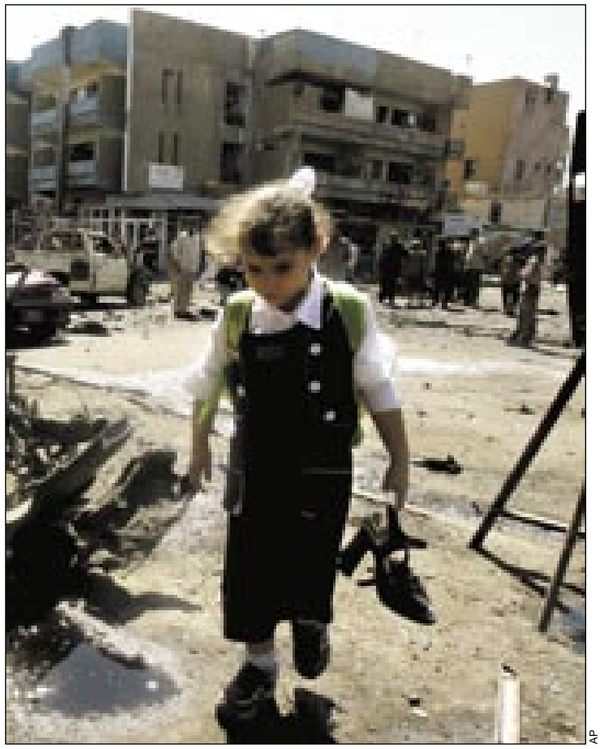
AP

REUTERS

المشهد الفلسطيني: قراءة إنسانية

إيهاب بسيسو*

كيف يمكن استيعاب مشهدية الموت والقتل في أعين الطفل الفلسطيني والتي باتت بمثابة تفاصيل شبه يومية يتعرض لها والتي هي أيضًا لها انعكاساتها النفسية على السلوك العام. ...

(*) كاتب فلسطيني

...تضعنا

قراءة المشهد الفلسطيني، من زاويته الإنسانية، أمام تحدٍّ بالغ التعقيد حول طبيعة الحياة في ظل عوامل إنسانية بالغة القسوة، فقد بات من المؤكد أن سياسة الحصار المفروضة على المناطق الفلسطينية، وما يصاحب ذلك من اجتياح وقصف وتدمير وتجريف مساحات واسعة من الأراضي الزراعية، قد شل الحياة الاقتصادية في المناطق الفلسطينية وكانت له تداعياته الإنسانية والسياسية والاجتماعية بشكل أصبح يهدد بنية المجتمع واستقراره، مما خلق فوضى ميدانية وحالة أشبه بكارثة إنسانية.

هذه السياسة لم تتزامن مع نتائج الانتخابات التشريعية الفلسطينية في يناير/ كانون الثاني 2006 فحسب، أو مع تشكيل الحكومة الفلسطينية الحالية، وإنما كانت جزءًا من المشهد الفلسطيني على مدار الأعوام الستة الماضية. ضمن سلسلة مبرمجة من العزل والحصار وتدمير البنية التحتية للسلطة الفلسطينية، وربما ساهم تشكيل الحكومة الفلسطينية بمزيد من الضغط، كعقاب جماعي للشعب الفلسطيني على خياره (والذي لم يتلاءم مع خيار وأجندة الحكومة الإسرائيلية)، هذا الضغط الذي ما لبث أن ترجم أيضا كضغط داخلي، مع تصاعد وتيرة الخلاف بين حركتي فتح وحماس حول طبيعة الإدارة والعمل السياسي مما خلق أزمة سياسية أدت مع توفر وتراكم عوامل أخرى إلى الجنوح نحو الكارثة.

AFP

عنف وحصار وإغلاق

هذه الكارثة الإنسانية لها إذن جذورها السياسية، وبلا شك إن سياسة الاحتلال هي العامل الأكثر فعالية في تفاقم الأوضاع على ما هي عليه، فما بين تدمير فعلي للبنية التحتية للسلطة الفلسطينية وحصار للمدن والقرى الفلسطينية بما في ذلك بناء جدار يعزل المدن الفلسطينية عن بعضها ويقضم مساحات واسعة من الأراضي الزراعية، ويشل الحياة الاقتصادية، مما يجعل الضفة الغربية تقبع ضمن كتل أسمنتية أشبه بالسجن الكبير، ومابين عمليات العنف اليومية، والحصار الخانق لقطاع غزة و إغلاق كافة المعابر المؤدية إليه، أصبح الحديث عن الوضع الإنساني تبعًا للمعايير والاتفاقيات الدولية سواء في حالات الصراع أو غيرها أمرًا بالغ التعقيد، إذا ما واجهتنا في المقابل الرواية الإسرائيلية والأسباب التي يسوقها السياسيون والعسكريون الإسرائيليون والتي تبرر من وجهة نظرهم قصف منازل المدنيين أو تدمير ورشهم الصغيرة، أو تجريف أراضيهم الزراعية، لاعتبارات وأسباب أمنية، تبدو للمتأمل في تفاصيل المشهد أنها لا تأخذ بعين الاعتبار البعد الأخلاقي أو الإنساني للمواطنين الفلسطينيين وإنما تتعامل مع الصراع السياسي ضمن أجندة يمكن القول عنها أنها أجندة إقصائية، ترمي إلى تفتيت الوضع الفلسطيني بحيث يصبح من الصعب جدًا في المنظور القريب أو حتى البعيد الحديث عن شراكة سياسية ومناخ صحي وملائم لعملية سياسية تفضي إلى دولة فلسطينية ضمن قرارات الشرعية الدولية.

فقدان الثقة

لقد بات من السطحي جدًا النظر إلى الحالة الفلسطينية من الزاوية السياسية فقط على أنها حرب بين طرفين، مما يبرر المضي قدمًا بالزج بالفلسطينيين في دائرة مخيفة من العنف، فالمشهد أكثر تعقيدًا من النظر إليه من زاوية أحادية فحسب حتى وإن كانت هذه الزاوية من باب توخي الموضوعية والحيادية، فالمشهد السياسي الفلسطيني يأتي ضمن تراكم سياسي إقليمي ودولي، هذا بالإضافة إلى أن الانجراف وراء المبررات التي تجاوزت كل الضوابط الإنسانية في التعامل مع الفلسطينيين، يخلق أزمة موازية في الصف الفلسطيني، لعل منها انهيار الوضع الإنساني بخصوصيته الصحية والبيئية والاجتماعية مما يترتب عليه فقدان الثقة بمعيار أخلاقي دولي يضمن للمجتمع الفلسطيني الحق في الحياة ضمن الشروط الدولية المتفق عليها عالميًا لاسيما اتفاقيات جنيف الخاصة بوضع المدنيين في حالات الحروب.

إن غياب الإطار الإنساني لدى الاحتلال في التعامل مع المجتمع الفلسطيني، خلق بالإضافة إلى معاناة الحصار الاقتصادية والقتل اليومي، معاناة إنسانية بالغة الخطورة تتمثل في انهيار المرجعية الإنسانية لدى المحتل، وإلا فكيف نفسر اغتيال عائلة بأكملها على شاطئ البحر بقذيفة إسرائيلية، كما حدث في غزة في صيف 2006، ربما كان لهذا المشهد رمزيته ودلالته السياسية والإنسانية معًا فهو يختصر الحالة الفلسطينية في ظل سياسات الاحتلال الإسرائيلي المتبعة.

بعيدا عن التجاذب السياسي

ولكي لا نقع في فخ التجاذب السياسي والحديث عن العنف والعنف المضاد، أو إرهاب الجماعات وإرهاب الدولة، فإننا نعي الشرط الإنساني في الصراع، لذا لا يمكن لنا القبول باستهداف المدنيين بأي شكل من الأشكال، أو الزج بهم في دائرة الصراع السياسي والعسكري بغية تحقيق مكاسب ميدانية أو إستراتيجية، أو خلق حالة ضغط تضع المجتمع برمته رهينة للعنف والعنف المضاد.

إن ما يحدث في الأراضي الفلسطينية الآن هو حصار بكل ما تعنيه الكلمة من معنى للوجود الفلسطيني سواء سياسيًا أو اقتصاديًا وحتى اجتماعيًا، فلا عجب في ظل أجواء كهذه أن تنتعش الراديكالية كحراك مضاد للعنف، أو بلغة أخرى كتحدٍ فطري للقمع، فمع بلوغ الأزمة هذا الحد من التعقيد، وإغلاق جميع الفرص أمام أي حلول سياسية تنقذ المجتمعين الإسرائيلي والفلسطيني من ورطة العنف، تضيق الخيارات أمام المجتمع الأضعف مما يؤدي إلى انتعاش الحلول الراديكالية التي باتت تفرض أجندتها بشكل أو بآخر على الساحة السياسية، وبغض النظر عن طبيعة هذه الحلول أو فلسفتها أو مرجعيتها الفكرية إلا أنها تجد في حالة الإحباط العام مرتعًا خصبًا للتمدد والانتشار، مما يضعنا مرة أخرى أمام حالة جديدة يتقلص فيها الشرط الإنساني للصراع بشكل كارثي والدليل على ذلك تقلص الحديث السياسي إلى إمكانية تحسين شروط الحياة للفلسطينيين دون الأخذ بعين الاعتبار الحق الإنساني العام.

وإلا كيف يمكن فهم الحصار وهذه الدوامة من العنف التي تطال الصغار والكبار على حد سواء بشكل مباشر، إلا كإجراءات عقابية لا تتلاءم مع المعايير الإنسانية.

أطفال يواجهون العنف والحصار

يمكن النظر في هذا السياق إلى مفارقة تتعلق بالأطفال الفلسطينيين، فقد كان المبرر الإسرائيلي في بداية الانتفاضة الفلسطينية الثانية في أغسطس/ أيلول 2000 وراء ارتفاع عدد القتلى في صفوف الأطفال الفلسطينيين، أن الفلسطينيين كانوا يدفعون بالصغار إلى الصفوف الأمامية للمواجهة كي يقتلوا في تبادل لإطلاق النار مما يفيد بذلك الدعاية الفلسطينية في الترويج لهمجية الاحتلال، ولكن ماذا عن الآن؟ فلا زالت معدلات القتلى في صفوف الأطفال في ارتفاع على الرغم من الانسحاب الإسرائيلي من قطاع غزة، وانتفاء صفة المواجهة المباشرة بين الطرفين، فهذه المرة لم يكن الصغار في الصفوف الأمامية، وإنما يحاولون الاختباء من الغارات والقذائف التي تطلقها المروحيات والمقاتلات بشكل كثيف.

وفي السياق نفسه يمكن الإشارة أيضًا إلى تداعيات القصف والغارات على نفسية الأطفال، فقد ازدادت حالات الاضطراب النفسي لدى الكثير من الصغار جراء القصف والغارات الوهمية التي تخترق فيها المقاتلات الإسرائيلية حاجز الصوت مما يسبب دويا عنيفا، يؤدي إلى الشعور بالهلع والرعب، هذا إذا ما اكتشفنا أنه جراء القصف المتواصل أصبح الصغار يتحدثون بنوع من المعرفة القسرية عن أنواع الرصاص أو القاذفات كجزء من يوميات الحصار والقصف، فليس من المستغرب أن يبادرك صبي فلسطيني لم يتجاوز العاشرة أو ربما أقل، إذا ما سمعت تحليقًا في الأجواء وترجم السؤال في عينيك: أن يجيبك: هذه طائرة استطلاع أو هذه أباتشي، أو هذه إف– 16.

(ويمكن لأطباء علم النفس والمختصين أن يتحدثوا باستفاضة عن تأثير تلك العمليات العسكرية والاجتياح والاغتيال على نفسيات الصغار وسلوكهم العام، وانعكاساتها النفسية على حاضرهم ومستقبلهم).

أسئلة إنسانية ملحة

قد تضعنا حالات كهذه أمام أسئلة إنسانية وأخلاقية بالغة الخطورة، ففي ظل الحديث مثلًا عن الحد من الصور المؤلمة على شاشات التلفزة لوقائع الصراعات بما في ذلك مشاهد القتلى والجثث، إلخ، كيف يمكن استيعاب مشهدية الموت والقتل في أعين الطفل الفلسطيني والتي باتت بمثابة تفاصيل شبه يومية يتعرض لها والتي هي أيضًا لها انعكاساتها النفسية على السلوك العام. (يندرج في هذا الإطار نفس السؤال بخصوصيته الإنسانية وبعيدًا عن جدلية الصراع والحراك السياسي الوضع المأساوي في العراق ولبنان أثناء الحرب الأخيرة التي حصدت أكثر من ألف قتيل).

إذًا نحن أمام تحديات تفرض نفسها، فأمام الانتهاكات الإنسانية، وضعف الحراك الإنساني الدولي، يصبح الحديث عن آفاق سياسية ومناخات ملائمة لاستقرار سياسي، نوعًا من الترف الذي يبتعد عن الواقع الملموس.

إغلاق المعابر: مأساة حقيقية

إن في يوميات الإنسان الفلسطيني مئات القصص والمواقف التي تشكل انتهاكات صارخة وواضحة للمعايير الدولية الإنسانية، كالاعتقال التعسفي، وقصف مولدات الكهرباء، إضافة إلى القصف العشوائي والحصار، نأخذ على سبيل المثال قضية معبر رفح على وجه الخصوص، فحجم المعاناة التي يعانيها الفلسطينيون لا يمكن قياسها إذا ما أخذنا بعين الاعتبار سياسة الإغلاق التي تمتد لأشهر مع العلم أن معبر رفح هو المنفذ الوحيد لفلسطينيي قطاع غزة مع العالم بعد قصف مدرجات مطار غزة وتوقفه عن العمل.

هذا الإغلاق المتكرر ولفترات زمنية طويلة يأتي في سياق العقاب الجماعي للفلسطينيين بحرمانهم من السفر والتنقل مما ينتج عنه ضغط إنساني ونفسي واقتصادي بالغ الخطورة نتيجة تكدس آلاف الفلسطينيين على جانبي المعبر، من ضمنهم مئات الحالات الصحية المحوّلة من مستشفيات قطاع غزة إلى المستشفيات المصرية لعدم توفر الشروط الصحية الملائمة لإجراء العمليات الجراحية وللنقص الحاد في الأدوية جراء الحصار، فكثير من الفلسطينيين لقوا حتفهم في انتظار فتح المعبر، سواء في انتظار الخروج إلى مصر أو في طريق العودة إلى قطاع غزة مما أدى إلى دفن العشرات منهم على مدار الإغلاقات المتكررة في العريش أو رفح المصرية لتعذر دخولهم إلى القطاع بسبب الحصار.

ولم تفلح كل الوساطات الفلسطينية والمصرية والدولية في تحييد المعبر، وإبقائه مفتوحًا للمسافرين الذين في جلهم ذوو احتياجات خاصة كالمرض أو التعليم أو الحج.

بهذا يظل معبر رفح قضية إنسانية وأخلاقية بالغة الخصوصية، تندرج في إطار العقاب الجماعي للفلسطينيين.

وبالتوازي مع معبر رفح تأتي المعابر التجارية الأخرى، كمعبر المنطار شرق مدينة غزة الذي يتم من خلاله التبادل التجاري بين الفلسطينيين والسوق الخارجية، فمعبر المنطار أيضًا يخضع لنفس الشروط التعسفية في الإغلاق المتكرر مما انعكس أثره سلبًا على توفر الكثير من البضائع لا سيما المواد الغذائية والأدوية.

إن هذه الشروط القاسية للحياة، لم تقدم الحلول السياسية، وإنما وفرت مناخًا رديئًا مناوئًا لأي استقرار سياسي، فلم يعد الفلسطينيون يملكون أدوات تحسين شروط حياتهم الاقتصادية والاجتماعية في ظل الحصار وتصاعد وتيرة العمل العسكري، إنما تم تجريدهم بشكل ممنهج من كل وسائل الحياة والاستقرار ليصبح المجتمع فريسة للاحتلال من جهة، وفريسة للفوضى والانفلات الأمني الداخلي والصراع الأهلي من جهة أخرى. فلا عجب في ظل انهيار المؤسسات المدنية الحاكمة، أن تزدهر القبلية والعشائرية والفئوية كبديل فطري للبقاء ولتوفير الحماية. بهذا يكون المجتمع قد خطا خطوات واسعة نحو الانهيار كمنظومة مدنية.

وهذا التحدي الإنساني يضعنا في مواجهة حقيقية مع الذات أولًا ومع الآخر ضمن مراجعة نقدية حقيقية تستند إلى الوعي الأخلاقي والإنساني بالدرجة الأولى بما في ذلك قيم العدالة والمساواة وحقوق الإنسان من أجل الاستقرار والسلام ●

اتفاق أبوجا: خطوة لتسوية نزاع دارفور

في مطلع سبتمبر/ أيلول الماضي، صدر قرار مجلس الأمن رقم 1706 الذي يدعو إلى نشر قوات دولية تابعة للأمم المتحدة في منطقة دارفور غرب السودان، ليفتح باب الجدل على مصراعيه، بينما تراوح الأزمة الإنسانية في هذا الإقليم مكانها على الرغم من اتفاق أبوجا الذي تم التوصل إليه.

عبد الله آدم خاطر*

ما إن أحال مجلس الأمن للأمم المتحدة مجمل حالة دارفور جنائيًا تحت البند السابع من ميثاق الأمم المتحدة إلى المحكمة الدولية بلاهاي حتى تأكد توصيف الأزمة السودانية بدارفور وفق القانون الدولي الإنساني بأنها نزاع مسلح داخلي Internal Armed Conflict. لقد جاءت تلك الإحالة على خلفية قرار مجلس الأمن (1006) للعام 2006 حيث ورد في الفقرة 21 من ديباجة القرار أنه وبموجب المادة 39 من الميثاق أن الوضع في السودان يمثل تهديدًا للسلم والأمن الدوليين ولاستقرار المنطقة.

وقد تطور النزاع الذي برز إلى الوجود عمليًا في مطلع العام 2003 بين حكومة السودان من جهة وحركة تحرير السودان وحركة العدل والمساواة من جهة أخرى على كامل أراضي دارفور إلى إمكانية تهديد إقليمي ودور خطير من خلال الملاحظات التالية:

(1) لقد جاء تصوير النزاع في دارفور على أنه بين (الزرقة) من ذوي الجذور الأفريقية والعرب تمهيدًا لنزاعات غير ضرورية بين إقليمين هما أشد ما يكونان في حاجة إلى التكامل البشري والتنموي، وقد أشير في أكثر من مناسبة إلى إمكانية الإفادة (إحدى دول الشرق الأوسط) من الصراع على ذلك النحو لتعميق الهوة بين الإقليمين العربي والأفريقي.

(2) باشتداد التنافس بين مجموعتي الأنجلوفون والفرانكوفون في أفريقيا على الموارد والنفوذ السياسي، قد ترشح دارفور، وهي تمثل منطقة تماس بينهما، ميدانًا جديدًا للنزاعات غير مضمونة النتائج لأي من الأطراف.

(3) في ذات السياق أثر النزاع في دارفور على العلاقة بين طرفي الأطلنطي وتحديدًا بين الولايات المتحدة الأمريكية ودول الاتحاد الأوروبي، خاصة فيما يتعلق بتخصيص محاكم لجرائم الحرب في دارفور، وعما إذا كان ضروريًا أن تكون في لاهاي.

(4) باعتبار أن السودان أصبحت دولة مصدرة للبترول وان دارفور ستصبح من مناطق الإنتاج فيه، فإن التنافس الدولي أخذ يشق طريقه إلى مجلس الأمن من خلال النزاع حيث إن أعضاء في مجلس الأمن خاصة الصين وروسيا ظلا يرقبان النزاع من زاوية البحث عن ضمانات لاستمرار استثماراتهما في السودان أيضًا.

ومع تصاعد العمليات العسكرية بين أطراف النزاع ولمدة عامين وبعد جدل سياسي إعلامي وقانوني واسع أخذ أطراف النزاع في الاستجابة لدواعي وقف إطلاق النار والاتجاه نحو التفاوض، وفي الخامس من مايو 2006 وبعد سلسلة من جولات التفاوض تم التوقيع على وثيقة اتفاق سلام دارفور في أبوجا العاصمة النيجيرية بوقائع أثارت جدلًا واسعًا، بيد أن الاتفاق سيظل الخطوة الماثلة لاستكمال تسوية النزاع التاريخي في دارفور.

REUTERS

ICRC

دارفور : مقاتلون في الأعلى.
وفي الأسفل النازحون والمشردون.

نزاع ذو خلفية تاريخية بعيدة

الواقع أن الأزمة السودانية في دارفور تبدو نتيجة لواقع تاريخي طويل، إذ أنه من خلال الخمسمائة عام الأخيرة من تاريخ بلاد السودان، اشتهرت دولتان إحداهما السلطنة الزرقاء شرق النيل، وثانيتهما دولة دارفور غربي النيل على تخوم الصحراء الكبرى. وبرغم أنهما عاشتا كدولتين مستقلتين ضمن منظومة واسعة من الدويلات والسلطنات، إلا أن الحراك الإقليمي والدولي قد جعل من الدولتين فيما بعد دولة واحدة هي سودان اليوم تحت الإدارة البريطانية في مطلع القرن العشرين. من الملاحظات التي صاحبت الدمج بين الكيانين أن الدولة السودانية المعاصرة قامت على التراث السياسي والثقافي والإداري لدولة الفونج، فيما أسقط كل التراث الإنساني الخاص بدارفور وهي الدولة الأكثر حيوية في العلاقات الخارجية تاريخيًا.

على ذلك النحو ظلت دارفور تحت ظل سياسات الدولة الاستعمارية وما بعدها تعاني من العزلة السياسية والتهميش الاقتصادي والإخضاع الإداري الأمني، بل إن تلك السياسات قد عملت على نحو متسق لتمزيق علاقات المجتمع الطبيعية وإنهاك نسيجه المحلي ليصبح في خاتمة المطاف مجتمعًا منتجًا في سياق قوالب اقتصادية استثمارية حديثة ولكنها لا تعود عليه بالفائدة المرجوة. إن الخلل في بناء الدولة السودانية قد ساهم مساهمة حثيثة في وضع دارفور على غبن تاريخي متصل، وفي حالة نزاع متواتر مع مركز السلطة في الخرطوم حتى وصل حد النزاع المسلح خلال الأزمة الراهنة.

تفاوض أطراف النزاع

لقد تم تقديم ذلك الغبن التاريخي على مائدة التفاوض بين الأطراف تحت إشراف الاتحاد الأفريقي وضمانات المجتمع الدولي. لقد اعترفت أطراف النزاع أن ثمة كارثة ماحقة حلت بدارفور وإذا لم تعالج بموضوعية سيؤثر ذلك على وحدة السودان وسلامة أراضيه ووضع حقوق الإنسان فيه، هذا فضلًا عن تأثير ذلك على علاقة البلاد مع جيرانها والمجتمع الدولي. لقد كان اهتمام المجتمع الدولي كبيرًا بالأزمة وعلى وجه الخصوص الوضع الإنساني والأمني الذي تدهور تدهورًا مريعًا من خلال عمليات عسكرية استثنائية استهدفت المدنيين وجعلت من نحو مليوني شخص نازحين ونحوًا من مائتين وخمسين ألف لاجئ فيما لم تستقر أعداد القتلى من الضحايا وقد تراوحت ما بين المائتين والأربعمائة ألف وفق مختلف الإحصائيات. لقد ظلت قوة الدفع الدولي تتجه إلى تخفيف المعاناة الإنسانية، فيما ظلت تسعى مع الأطراف إلى الوصول إلى صيغة تراض حول تقاسم السلطة وتقاسم الثروة في ظل ترتيبات أمنية جادة تجعل من العودة ●●●

(*) صحفي ومحلل سياسي سوداني

●●● الطوعية الآمنة للنازحين واللاجئين أمرًا ممكنًا وفي ظروف إنسانية مواتية.

أبوجا.. ونيروبي

لقد أفادت مفاوضات أبوجا من اتفاق السلام الشامل الموقع بين الحركة الشعبية لتحرير السودان وحكومة السودان في نيروبي العاصمة الكينية قبل عام، حيث أكد اتفاق السلام لدارفور أيضا أن تكون المواطنة هي أساس الحقوق والواجبات المدنية والسياسية فيما تعتبر الديانات والمعتقدات والتقاليد والعادات مصادر للقوة المعنوية والإلهام للشعب السوداني الذي من ضمن مكوناته شعب دارفور. من ناحية أخرى يكون نقل السلطة سلميًا استنادًا على انتخابات حرة ونزيهة لتصبح الأساس لقيام نظام ديمقراطي يتطابق مع نظام فيدرالي يكفل تخويلًا فعليًا للسلطات وتوزيعًا واضحًا للمسؤوليات بين المركز ومستويات الحكم الأخرى بما في ذلك الإدارة المحلية، في الوقت الذي يعتبر فيه التنوع الثقافي والاجتماعي لشعب السودان أساسًا للتماسك القومي ينبغي تعزيزه وتنميته.

فيما يتعلق بالمفاهيم والمبادئ العامة لتقاسم الثروة فإن الاتفاق أخذ في الاعتبار ثروة السودان بمعناها الأوسع لتشمل الموارد الطبيعية والبشرية والتراث التاريخي والثقافي والأصول المالية بما في ذلك الائتمان والإقراض العام والمساعدة والمعونة الدولية. بتلك الخلفية اعتبر الاتفاق إعادة تأهيل وإعادة إعمار دارفور من الأولويات القصوى مع الحاجة الماسة والعاجلة إلى تنمية البنى التحتية الاجتماعية والمادية المتضررة من جراء النزاع، وتأسيسًا على ذلك نص الاتفاق على إنشاء صندوق خاص لإعادة إعمار وتنمية دارفور.

وقد أضاف الاتفاق فصلين آخرين إلى فصلي تقاسم السلطة وتقاسم الثروة، وهما فصل وقف إطلاق النار الشامل والترتيبات الأمنية النهائية، وفصل الحوار الدارفوري ـ الدارفوري والتشاور، وهما فصلان يمهدان للسلام والاستقرار من أجل وقف الحرب من ناحية، ودفع المجتمع نحو الحوار المحلي بما يحفظ السلم ويخدم قضايا المصالحة والتراضي الاجتماعي من ناحية أخرى.

جدل وخلافات

بالرغم من مقبولية السياق العام للاتفاق والذي قدمه الاتحاد الأفريقي للأطراف، إلا أنه أصبح محل جدل واسع، ذلك أن طرفين هما اللذان وقعا عليه، حكومة الوحدة الوطنية وحركة تحرير السودان (جناح مني)، فيما رفضت التوقيع حركة تحرير السودان (جناح عبد الواحد محمد نور) وحركة العدل والمساواة باعتبار أن الاتفاق لم يلب الحد الأنسب لطموح أهل دارفور. على اثر ذلك انشق الرأي العام السوداني في دارفور خاصة بشأن الاتفاق، حيث مالت الأغلبية إلى الشك عما سيكون الاتفاق قابلًا للتطبيق على الأرض. وهكذا بدلا من أن يحمل اتفاق السلام البشريات أخذ الاتفاق يواجه التحديات، ومع ذلك جرى تساؤل عما إذا كان باستطاعة أطراف الاتفاق إنفاذه بما يحقق النوايا الحسنة والمرجوة.

تحديات تشغل الجميع

لعل أول تلك التحديات والتي تشغل بال المجتمع الدولي على نحو خاص أن أطراف الاتفاق أصبحت في وضع لا يسمح لها بتطبيق الاتفاق بما يخدم الجوانب الإنسانية والأمنية على وجه السرعة المطلوبة، وفي هذا السياق أصبح الواقع الأمني والإنساني خارج سيطرة الاتحاد الأفريقي وأطراف الاتفاق، فيما تزداد أحوال النازحين واللاجئين تدهورًا، الأمر الذي جعل احتمال تدخل الأمم المتحدة بقوات دولية أمرًا راجحًا ومحل نقاش متزايد.

أما ثاني التحديات فيتمثل في أن الحركات المسلحة وقد تراجعت عن تعهداتها بالاتفاق على موقف تفاوضي مشترك أصبحت في أوضاع متنازع عليها من القوات التابعة لها، حيث حدثت تحولات من قبل المقاتلين حسب الواقع الجديد، وبرزت إلى السطح تحالفات جديدة أحدثت ارتجاجًا وقلقًا وتراجعًا عن إمكانية دعم الاتفاق، فبدا كما لو أن القادة الذين وضعت أسماؤهم على لائحة توقيع الاتفاق غير قادرين على تمثيل القوى الحقيقية في الميدان، وذلك بذاته يمثل تحديًا حقيقيًا، وذلك عندما يفقد الميدان العسكري إرادة الاتجاه نحو الأهداف السياسية.

هنالك مسألة ثالثة لا تقل عما سبق ذكره من تحديات، فالطرفان الموقعان على الاتفاق وبسبب مجابهات كلامية واختلاف في وجهات النظر لم يستطيعا المضي قدمًا وبحزم إلى تطبيق البنود التي تساهم في رفع قيمة الاتفاق عمليًا واحترامه من قبل المستفيدين من ثمرات تطبيقه.

لقد أعادت تلك التحديات الكرة مجددًا إلى المجتمع الدولي ومدى إمكانية مساهمته في تقويم التجربة ودفعها إلى التطبيق الحميد. وبالفعل انتبه المجتمع الدولي إلى موضوعية النقد الذي وجه للاتفاق والدعوة إلى استكمال نواقصه بترتيبات قد لا تمس نصوص الاتفاق ولكن تعمل على تفسير وسائل تطبيقه بما تتراضى عليه كل الأطراف. على تلك الخلفية انتقل المجتمع الدولي من الضغط على غير الموقعين ومحاصرتهم وعمد إلى توفير ضمانات إضافية تشجيعًا لهم على التوقيع، ذلك أن السلام لا يتحقق على الأرض دون تراضي كل الجماعات الحاملة للسلاح.

سؤال هام

يبقى سؤال لا يقل أهمية، أنه ومع كل تلك التحديات أليس من سبيل إلى آفاق أرحب لترسيخ قاعدة السلام المنتج في دارفور بتضامن من كل الأطراف؟ لعل من بين الفرص المتاحة أن حركة تحرير السودان (جناح عبد الواحد) والتي رفضت التوقيع على الاتفاق وضعت ومنذ وقت مبكر ثلاث مسائل إذا ما تمت الاستجابة لها بنية حسنة فإنها لن تجد مانعًا من التوقيع على الاتفاق، وهي:

(1) التعويضات الفردية والأسرية التي تدفع المتضررين من الحرب للعودة إلى مساكنهم وقراهم.

(2) توفير العودة الطوعية الآمنة للنازحين واللاجئين بمساهمة الحركات المسلحة فعليًا مع الأطراف الأخرى وفقًا للتدابير الأمنية في الاتفاق.

(3) تعضيد فرص المشاركة السياسية في المواقع التنفيذية على مستوى الحكم الاتحادي والإقليمي والمحلي لتتمكن الحركات من خلالها من المساهمة في تنفيذ الاتفاق بفاعلية.

على صعيد الطرفين الموقعين، فإنهما على اقرار تام بأهمية دور الأطراف الأخرى للتوقيع على الاتفاق استكمالًا للعملية السلمية في دارفور. في هذا السياق أعلن مني أركو مناوي كبير مساعدي رئيس الجمهورية ورئيس حركة تحرير السودان الموقعة على الاتفاق على ضرورة أن تلحق الأطراف غير الموقعة بالاتفاق، في وقت ذهبت فيه حكومة الوحدة الوطنية خطوة أخرى بالموافقة على المسائل التي أثارتها حركة تحرير السودان (جناح عبد الواحد)، والتي قد توافق عليها حركة العدل والمساواة في سياق التراضي من أجل السلام لدارفور.

على ما تقدم، فإنه مهما كانت عثرات اتفاق السلام لدارفور إلا أنه يمثل الخطوة الأولى الضرورية للتراضي حول إمكانية السلام وإعادة التأهيل والتنمية لدارفور كخصوصية تاريخية وتنموية. في سياق ذلك تأتي القضية الإنسانية والأمنية أولًا، فهي قضية محورية تتطلب جهدًا دوليًا متعاظمًا إلى حين اتفاق أطراف السلام على خطة عملية لتنفيذ الاتفاق على الأرض وهو ما من شأنه أن يزيد من فرص السودانيين في الاستقرار والتنمية في مناخات ديمقراطية مواتية ●

AP

دراما الحرب الصومالية : تناسل المآسي الإنسانية

أسفرت سنوات الصراع عن نزوح أكثر من خُمس الصوماليين إلى الدول المجاورة، ووقوع قرابة نصف المليون فريسة التشريد الداخلي، كما أودت الحرب الأهلية بحياة ما يزيد على مليون مواطن في هذا البلد الذي صار مضرب الأمثال للفوضى وعدم الاستقرار.

د. السيد عوض عثمان*

(*) خبير في الشؤون العربية

يضيف الاقتتال الدائر، منذ فبراير 2006، بين ميليشيات "المحاكم الشرعية" الإسلامية، والجبهة المسلحة الجديدة من أمراء الحرب، والتي أطلقت على نفسها تسمية "التحالف لمكافحة الإرهاب واستعادة السلام"، فصولًا جديدة في "دراما" الحرب الصومالية، الممتدة منذ نحو 15 عامًا، بدأت عقب اتفاق الجميع في هذا البلد، على الإطاحة بحكم الرئيس الصومالي، محمد سياد برى في عام 1991.

غير أن الفرقاء الذين اتفقوا في هذا الشأن اختلفوا إثر ذلك في كيفية اقتسام السلطة، وعليه، فقد انخرط هؤلاء "الإخوة الأعداء" في قتال متواصل، أدخل الصومال بأكمله في أتون حرب أهلية طاحنة استمرت حتى العام 2005 مع تشابك تعقيداتها الإقليمية والدولية، إلى أن أدرك الفرقاء المشاركون فيها أهمية عدم إهدار الفرص المتتالية لوضع حد للاحتراب الداخلي ووقف المعارك وتحقيق المصالحة الوطنية، وترسيخ أسس السلام، واستعادة وحدة البلاد وإعمارها، وتجاوز سنوات الاقتتال الطائفي، ونزع ●●●

REUTERS

بعض من أفراد الميليشيات الصومالية

التاريخ على حساب موت الصوماليين، وتدهور الأوضاع الإنسانية والمعيشية تدهورًا شديدًا بعد أن بلغ معدل وفيات الأطفال دون سن الخامسة، طفلًا من بين كل خمسة أطفال، وكذلك تراجع متوسط العمر المتوقع عند الميلاد إلى ما يزيد قليلًا على 40 عامًا، ومعاناة 780 ألفا من نقص الغذاء، وغيرها من المؤشرات التي تعكس خطورة ومأساوية الوضع الإنساني في الصومال.

مأساة تفاقمها قسوة الطبيعة

كان لاستمرار الحرب الأهلية لمدة أربعة عشر عامًا ما حال دون قيام سلطة مركزية فاعلة في الصومال، تتولى النهوض بمستويات المعيشة والاستقرار الاقتصادي في بلد يصنف عامًا بعد عام ضمن فئة أشد البلدان فقرًا على الصعيد الدولي. ولتكثيف مأساوية الأوضاع الإنسانية، كانت الطبيعة أكثر قسوة على الإنسان الصومالي، بتواصل موجات الجفاف المتعاقبة، حيث يعتمد ما لا يقل عن 85 في المائة من مجموع السكان البالغ عددهم ثمانية ملايين و304 آلاف نسمة على الزراعة أو تربية الحيوان كمورد للمعيشة. فكان من شأن ندرة الأمطار وعدم هطولها بصورة كافية، لعدة سنوات متتالية، التسبب بالإضافة إلى الانهيار الكامل لأنظمة الإمداد بالمياه، في أزمة إنسانية معقدة وشديدة الوطأة، أفرزت نقصًا حادًا في الطعام والشراب وجفافا في المراعي، وتدميرا لمحاصيل الحبوب، لاسيما في جنوب الصومال الذي يفتقر إلى سيادة القانون، والذي يتهدده شبح المجاعة.

لقد كان من شأن غياب الأمن والاستقرار وسيادة القانون وعدم تواجد حكومة مركزية تتولى تخطيط وتنفيذ مشروعات للري، أن يضيف أبعادًا جديدة لأزمة نقص الغذاء. فمعاناة الصومال من أزمة مياه، تحولت إلى معاناة من أزمة غذاء، حيث أصبح أمراء الحرب ومقاتلوهم، يسيطرون على جمع الضرائب والمحاصيل الزراعية والأسواق، وبالطبع المياه، التي استمر القتال يندلع حولها حتى في المناطق التي توجد فيها إمدادات كافية. ومن الانعكاسات الملموسة لأزمة شح المياه، والتي تشكل خطرًا على حياة السكان، اضطرارهم في كثير من الأحيان والمناطق إلى شرب مياه ملوثة، وإلى ارتفاع سعر برميل المياه الذي يسع 200 لتر، إلى أكثر من 20 دولارًا أمريكيا، مما لم يكن بمقدور معظم السكان في الصومال تحمله، بفعل تدني الدخول، وعدم توافر فرص العمل، وغياب مصادر الرزق. كما أدى شح المياه من جهة أخرى إلى تهديد الصومال، بوجه خاص، بخطر الانزلاق إلى مجاعة كاملة، وتعرض هذا البلد إلى أزمة غذائية حادة، حيث عمل الجفاف على التسبب في فشل المواسم الزراعية منذ عدة سنوات، وعلى تدني الإنتاجية، إضافة إلى انخفاض حصاد الحبوب بدرجة ملحوظة وخطيرة. وتكفي الإشارة إلى أنه من بين التأثيرات السلبية المتولدة عن شيوع الجفاف، تهديد حياة نحو مليوني صومالي، كما صار نحو 900 ألف صومالي معرضين لخطر المجاعة.

أضف لذلك أن الانخفاض الشديد في مستويات الدخل، واكبه ارتفاع في أسعار المواد الغذائية بنسبة أكثر من 30٪ منذ نهاية عام 2005، وهذه الأسعار ترتفع حاليًا إلى مستويات عالية بشكل غير طبيعي، مما يجعل الأسر الأفقر والجماعات المهمشة تواجه مخاطر أعظم، إضافة إلى المعدلات العالية من سوء التغذية الحادة.

موارد تنهار.. وأوبئة تهدد

لهذا جميعه، أصبحت المراعي في حالة مزرية، حيث يعاني المزارعون والرعاة من شح المياه، وصعوبة الحصول على المياه والمرعى، مما أدى إلى تهديد نفوق ما يزيد على 80٪ من مواشي البلاد وتعرضها للإصابة بالأمراض. وتبرز أهمية ذلك في الاعتماد على قطعان الماشية كمورد للغذاء، وكسلعة تجارية، مما يؤدي إلى تعطيل الأسواق المحلية، وكسلعة تصديرية، مما يعوق أنماط هجرة المواشي بحثًا عن الماء والكلأ، خاصة أنه منذ عام 2000، أدّى الحظر المفروض على استيراد الحيوانات الحيّة واللحوم الصومالية، من قِبل عددٍ من الشركاء التجاريين التقليديين للصومال في الشرق الأوسط إلى استنزاف موارد الدخل ومستويات الأمن الغذائي بقوة في ذلك البلد الفقير بالقرن الأفريقي. وجاء الحظر كاستجابة لتفشي وباء حمّى الـــوادي المتصدع (RVF) في منطقة شبه الجزيرة العربية.

على صعيد مجتمعات الصيادين المحلية تسببت كارثة المد البحري في نهاية عام 2005، إلى تضررهم ضررا شديدا وهو ما فرض أهمية مساعدتهم على بناء حياتهم مجددًا، والعودة إلى موارد الرزق المنهارة، عبر تقديم جهات الإغاثة الدولية لمعدات الصيد وغيرها من المدخلات، ومساعدة المجتمعات المحلية على إعادة تشكيل روابط الصيادين، ولا سيما أن ثمة جيوب سكانية متفرقة في أنحاء البلاد تضم ما يقدر بنحو 920 ألف نسمة في حاجة إلى معونات الطوارئ، أو يعيشون أزمة على صعيد موارد الرزق. ومنذ أبريل 2006، حذرت منظمات إغاثة تابعة للأمم المتحدة من تزايد احتمالات وفاة وموت ما لا يقل عن عشرة آلاف شخص شهريًا في الصومال، بسبب ونتيجة مباشرة للمجاعة، خاصة مع مجئ موسم الأمطار، والذي يمتد من أبريل إلى يونيو، هزيلًا، كما توقعت الأرصاد، في سياق موجة الجفاف الشديدة التي اجتاحت منطقة القرن الأفريقي في السنوات الماضية. وهي الأسوأ منذ عقود.

ومما له صلة، فإنه يمكن رصد عودة عدة أمراض وظهورها في الصومال مثل شلل الأطفال، وكثرة الوفيات بسبب الحصبة والتيفود نتيجة الفقر المستشري وسوء التغذية، وأن الجفاف يفاقم من الأوضاع المتردية بالفعل، كما أن انعدام القانون في الصومال يجعل الظروف هناك على وجه التحديد حرجة، تصعب توزيع المياه الصالحة للشرب أو الغذاء في مناطق وعرة في الصومال، حيث تتعرض قوافل المساعدات وشاحنات المياه إلى هجمات أو تجبر على دفع إتاوات في نقاط تفتيش من الميليشيات. وبهذا الخصوص، شرعت منظمة الصحة العالمية، منذ مارس 2006، في حملة تستهدف تطعيم نحو 1,4 مليون طفل ضد شلل الأطفال في مناطق من الصومال كانت خالية من المرض من قبل.

اللجنة الدولية تزيد دعمها المخصص للصومال

وفي خطوة هامة وذات دلالة، بهدف درء شبح المجاعة عن 1,2 مليون من سكان جنوب الصومال الذي يعاني، بصفة خاصة وحادة والأكثر تضررًا، من الجفاف، أعلنت الأحمر زيادة ميزانيتها المخصصة للصومال لعام 2006، بنسبة 61٪ إلى 32 مليون دولار، رغم محدودية ذلك، بالنظر إلى ضخامة التحديات وتدني المستويات الحياتية والمعيشية، وتعدد جوانب المأساة الإنسانية في الصومال وأزمته العميقة، حيث إن المزيد من التوتر أو الصراع فيه سيكون بمثابة كارثة محدقة. والهدف العام هو استعادة القدرة الإنتاجية للمجموعات المعرضة للتهميش الاجتماعي، والمشردين داخليًا، واللاجئين العائدين من النساء والأطفال.

تفاقم الأزمة الإنسانية وفشل التسويات السياسية

ومؤخرا أسفر الاقتتال بين ميليشيات "المحاكم الشرعية" الإسلامية، وتحالف أمراء الحرب عن طرد زعماء الفصائل المسلحة وميليشياتهم من العاصمة مقديشو، وهو ما أدى إلى سيطرة قوات "المحاكم الشرعية" على كل أنحاء العاصمة، بشطريها الجنوبي والشمالي، في تطور لم يتح لأي من الفصائل المسلحة منفردة أو مجتمعة طيلة سنوات الحرب الأهلية، وامتدت تلك السيطرة إلى مناطق أخرى من الصومال، مما استدعى تدخل أطراف إقليمية، خاصة الجارة إثيوبيا.

والمحصلة أن قوات "المحاكم الشرعية" استطاعت إعادة الأمن والاستقرار إلى مقديشو العاصمة، وفي الوقت نفسه، تراجع نفوذ زعماء ولوردات الميليشيات المسلحة، ومن شأن تواصل القتال ونزيف الدم، إعاقة الحصاد للمزروعات الغذائية والتي تتركز زراعتها جنوبي الصومال حيث تقع مدينة بيدواه، الأمر الذي من شأنه أن يزيد من حدة الأزمة الإنسانية القائمة. بيد أن مشكلة التداخل وأزمة المشروعية بينها وبين الحكومة الصومالية المؤقتة، يثير علامات استفهام كبرى حول الاختصاصات والصلاحيات والاعتراف الإقليمي والدولي، مما يلقى بظلال كثيفة حول المستقبل بشأن مسائل عدة، من بينها نزع أسلحة الفصائل، وإعادة تأهيل أعضاء وعناصر الميليشيات كنواة لجيش وطني جديد، وكبديل ومصدر للرزق والعيش الكريم، والتوقف عن دفع والزج بالأطفال والنساء وقطاعات أخرى من الشعب الصومالي في أتون محرقة الحرب الأهلية، وتدعيم أسس الأمن والسلام والاستقرار، لتحقيق إعادة الإعمار والتنمية المستدامة، ونشوء حكومة مركزية قوية بمقدورها الشروع بتقديم حلول ناجعة وطويلة المدى فيما يخص الأزمة الإنسانية ودرء خطر المجاعة، ولمواجهة الجفاف بتجميع مياه الأمطار المتساقطة، وبناء نظم ري حديثة، واستخدام تقنيات جديدة للبحث عن المياه. ومن الضروري لذلك أن يتوقف المجتمع الدولي عن تجاهله للصومال منذ عدة سنوات، وزيادة مساهمة المانحين في تخفيف الآثار المترتبة على موجة الجفاف.

وفي التحليل الأخير، فإن عدم تسوية الوضع الإنساني المأساوي يهدد بفشل ما يمكن اتخاذه بشأن العملية السياسية، ووضع تحديات إضافية لحلحلة الأزمة، حتى لا تعيد إنتاج ذاتها. وتلك ضرورات ملحة، وقبل فوات الأوان، وحتى لا يستمر الحديث عن الصومال بوصفه "البلد الذى كان"!! ●

الاختفاء القسري: وصمة في جبين العالم

قد يذهب المتشائمون إلى القول إن هذه مجرد اتفاقية أخرى وإنها لن تكون كافية لمقاومة الاختفاءات القسرية. لكن وعلى مر السنين شاهدنا تطورًا تدريجيًا للقانون الدولي الإنساني والقانون الدولي لحقوق الإنسان له تأثير إيجابي لم يكن أحد يجرؤ على تصوره قبل خمسين عامًا مضت.

ICRC

في التاسع والعشرين من يونيو/حزيران 2006، وبعد 25 عامًا من الحملات التي تديرها عائلات المختفين اعتمد مجلس حقوق الإنسان الجديد التابع للأمم المتحدة مشروع الاتفاقية الدولية لحماية جميع الأشخاص من الاختفاء القسري. وفي الثلاثين من أغسطس/آب من كل عام، وهو اليوم العالمي للمختفين، تتذكر البشرية أولئك الذين خطفوا أو وضعوا في أماكن سرية للاحتجاز أو عذبوا أو قتلوا في بعض الأحيان. كما تقف إجلالًا لشجاعة العائلات التي عاشت في الظلام حول مصير أقاربها. ولتغتنم أيضًا هذه الفرصة للتفكير في كيفية منع وقوع الاختفاءات القسرية في المستقبل.

ويعد الاختفاء القسري جريمة بموجب القانون الدولي لحقوق الإنسان وبموجب القانون الدولي الإنساني إذا حدث أثناء الحرب. فهو يعادل القضاء على وجود شخص ما وحرمانه من الحماية الأساسية التي يحق لكل شخص أن يتمتع بها بصرف النظر عما إذا كان مذنبًا أو بريئًا. فهو انتهاك لحقوق ذلك الشخص وحقوق أسرته. فالضرر الذي يصيب شخصًا توفي قريبه يختلف عن الضرر الذي يصيب شخصا اختفى قريبه، فهذا الأخير يواصل الحفاظ على الأمل حتى مع فقدان الأمل، فهو ضرر بالغ ودائم؛ يؤثر ليس على الأفراد فحسب وإنما على المجتمعات التي يعيشون فيها.

ومن المحزن أن عمليات الخطف التي تأمر بها الدول أو تدعمها والاحتجاز السري وعمليات القتل بدون محاكمة ليست جديدة. إنها جرائم ارتكبت بشكل متكرر في جميع القارات طوال التاريخ ومازالت ترتكب حتى هذه اللحظة. وتفيد الأمم المتحدة أن قرابة 50 ألف اختفاء قسري وقع منذ عام 1980 فيما يزيد على 90 بلدًا من بلدان العالم. فقد طلب فريق العمل التابع للأمم المتحدة المعني بالاختفاءات القسرية أو الطوعية العام الماضي من الحكومات التحقيق في أكثر من 550 حالة جديدة.

رغم ذلك فلم تسند مسؤولية هذه الأفعال سوى إلى أناس قلائل ممن ارتكبوها. إن الإفلات من العقاب أو عدم تحقيق العدالة يخلقان مناخًا اجتماعيًا يفقد الثقة في المؤسسات وبالتالي يؤدي إلى انعدام الاستقرار. وإذا لم تتم معاقبة الذين يمارسون الاختفاءات القسرية فإن ذاكرة المختفين ستظل تؤرق المجتمعات التي تخفي مثل هذه الأفعال.

لقد كافحت عائلات المختفين في العالم ضد هذا الإفلات من العقاب عقودًا كثيرة. وحافظت على ذاكرة أقاربها حية بطلب الإجابات عن أسئلتها، والعمل في الوقت ذاته على منع الاختفاءات في المستقبل. وتعد المطالبة المتزايدة بمعاهدة دولية تضع حدا لهذه الممارسات اللا إنسانية جزءًا من كفاحها.

ويتضمن مشروع الاتفاقية الجديدة حظرًا مطلقًا للاختفاءات القسرية في وقت السلم وفي وقت الحرب على السواء. كما ينص على أنه "ما من شخص يمكن أن يوضع خارج حماية القانون أبدًا". وقد تمت إحالة نص مشروع المعاهدة إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة كي تصادق عليها الدول. كما يفرض نص مشروع المعاهدة على الدول تجريم الاختفاء القسري ويتضمن إجراءات مثل تسجيل المحتجزين ومنحهم الحق في المثول أمام المحكمة والاتصال بمحاميهم وعائلاتهم. ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن مشروع المعاهدة يضع آلية دولية لمراقبة تقيد الدول بالتزاماتها بموجب الاتفاقية وإجراء لتوجيه نداءات عاجلة يمكن اللجوء إليه حيثما اشتبه في وقوع اختفاء قسري.

وقد يذهب المتشائمون إلى القول إن هذه مجرد اتفاقية أخرى وإنها لن تكون كافية لمقاومة الاختفاءات القسرية. لكن وعلى مر السنين شاهدنا تطورًا تدريجيًا للقانون الدولي الإنساني والقانون الدولي لحقوق الإنسان له تأثير إيجابي لم يكن أحد يجرؤ على تصوره قبل خمسين عامًا مضت. فتنظيم حقوق الأفراد وواجبات الدول بجلاء يساعد على رسم حدود واضحة بين قاعدة القانون والأعمال التعسفية.

ولآليات المراقبة الدولية تأثير أيضًا. ففي الدورة الأولى لمجلس حقوق الإنسان الجديد التابع للأمم المتحدة في يونيو/حزيران 2006 أدلت وزيرة خارجية تشيلي السيدة "باولينا فيلوسو"، التي اختفى زوجها في "عملية كندور" عام 1977، بشهادة أعربت فيها عن ثقتها بأن جهود الأمم المتحدة لمصلحة المختفين والإدانة العامة من قبل المجتمع الدولي كان لها أثر رادع كان من شأنه أن يقلل من عدد الاختفاءات. وخاطبت السيدة "فيلوسو" المجلس قائلة: "في لحظات التوحد والكرب، قدمت لي اللجنة بعنايتها دعمًا كبيرًا وأعطتني القوة لمواصلة وضع الثقة في الناس وحقوق الإنسان والمجتمع الذي يدافع عن هذه الحقوق".

بالنسبة لها تعد الزيارات المتكررة للمحتجزين والعمل الذي يتم إنجازه لإعادة الروابط العائلية والإبقاء عليها أقوى الإجراءات الوقائية ضد اختفاء الأشخاص أثناء النزاعات المسلحة.أما اللجنة الدولية للصليب الأحمر فتعمل بدون كلل على وقف الاختفاءات القسرية. وبالنسبة لها تعد الزيارات المتكررة للمحتجزين والعمل الذي يتم إنجازه لإعادة الروابط العائلية والإبقاء عليها أقوى الإجراءات الوقائية ضد اختفاء الأشخاص أثناء النزاعات المسلحة. فقد زار مندوبوها العام الماضي حوالي 2500 مكان للاحتجاز في قرابة 70 بلدًا، واستفاد من هذه الزيارات ما يناهز نصف المليون محتجز. كما تابعوا أحوال ما يزيد على 46 ألف محتجز تمت زيارتهم سابقًا مما ساعد في تبادل قرابة 100 ألف رسالة شخصية بين المحتجزين وذويهم.

إن طلبات العائلات للحصول على إجابات وجهودها المبذولة حفظًا لذاكرة المختفين يحظى منًا بالإعجاب والاحترام. إن نضالها الدءوب للتعويض عن الظلم ومنع مثل هذه الأفعال من الوقوع مجددًا في مكان آخر يستحق دعم مجتمع الدول والجمهور بشكل عام. فالاتفاقية الجديدة سوف تدخل إجراءات ملحَّة جدًا للحيلولة دون الاختفاءات القسرية في المستقبل. وبالتالي ينبغي أن تعتمدها الجمعية العامة للأمم المتحدة بسرعة وأن يصادق عليها عدد كبير من الدول ●

زمن قانا

تيسير النجار*

إنها الحياة في بوتقة النار المشتعلة؟
إنها قانا!
مشردون، منكوبون ويتامى وقتلى،
وطائرات ونيران تطفو على شاشاتنا.
وهدوء نسبي بين القنوات لا يمنع الذاكرة من الألم يشبه النار وزيادة.
إنها صور مروعة، جثث متفحمة، ورؤوس مشوهة.
يا الله
لماذا كل هذا .. لنألف موتنا.
لكي نتدرب بتواصل على الموت،
إنه تدريب نتجرعه منذ ولادتنا.
الذاكرة ازدحمت بالصور .. ازدحمت بالحقيقة.
لا تطل سوى "قانا".

✶✶✶

كم كتابا نحتاج وكم لوحة ومغنيا وشاعرا لنعرف أن الجهات
كلها أصبحت "قانا"
كم هي بائسة الكوابيس حين أصبحنا نشاهدها بشكل نشرات أخبار.

✶✶✶

النوافذ المفتوحة صوب السماء كلها أصبحت تطل على "قانا"
فيا قانا
من أين للصواريخ كل هذا العطش للدماء
وكيف تتحول أجسادنا وكلماتنا إلى أفق من رايات الاستنكار.

✶✶✶

إنها قانا
وخلف كل دمعة قصة عالية التركيز
تقول لنا الكثير عن البطولة والشهادة، وعن التاريخ المغسول بالدماء.
ينعدم الكلام ، ينعدم الصراخ.

✶✶✶

القصف لا يتوقف.
وكذلك هبوط الظلام.
عن ماذا أبحث في جيوب الظلام
هل أجد نجمة
أم قنابل وصواريخ بكامل أناقتها

تداهم روح "قانا" التي نتوق إليها حتى لا ينهش أحد كرامتنا وحياتنا
ونتحول إلى جثث بثياب أحياء نرتجف أمام عاصفة الحياة ليس إلاّ.

✶✶✶

قتل ودمار حارق وموجع ومؤلم على أتم وجه.
أشلاء تتفحم وجثث ملفوفة بأكياس سوداء تشبه أيامنا.
"قانا" تقتلنا جميعًا بصدقها.

✶✶✶

النار تزداد.
الدمار والقتل يزداد.
جميعنا يعرف من هو الجلاد
وجميعنا يعرف أنه الضحية..
إنه حجم الخسائر.

✶✶✶

الكثير من النيران تغطي أرواحنا الخائفة
نكتفي بالفرجة رغم مرور الكثير من الوقت

✶✶✶

الأصابع التي كانت تشير للقذائف التي حولت الجمال لخراب
هي ذات الأصابع التي أشارت لنا أن للحياة معنى واحدا
معنى أن تكون شهيدًا فيكون لك الفضاء
وتكون لك السماء أرحب.

✶✶✶

إنها جرنيكا سوداء متقنة الملامح
إنها "قانا" بطاقة أيامنا الحمراء.

✶✶✶

عزيزتي قانا
إنها الحياة على محك الحرب
إنها ساعة الرحيل عن كل شيء
فهل الأمل ممنوع علينا ولو تلميحًا
لأن بلادنا ما زالت بثياب النوم ●

(*) شاعر فلسطيني يقيم في الأردن tayseeralnajjar@yahoo.com

"تروي إحدى الأساطير أن شخصا لقي في طريق سفره ملاك الموت فسأله:

ـ "إلى أين أنت ذاهب يا ملاك الموت؟"

فأجاب:

ـ إنني ذاهب لأنشر الحرب في مدينتك كي أحصد أرواح خمسة آلاف نسمة من أهلها"..

وبعد عودة المسافر إلى مدينته سمع أن خمسين ألفا من أهل مدينته راحوا ضحية وباء الحرب.

واتفق أن المسافر التقى ثانية بعد بضعة أيام بملاك الموت فقال له:

ـ لماذا كذبت علي وقتلت خمسين ألفا من أهل مدينتي بدلا من خمسة آلاف كما قلت لي؟

فأجاب ملاك الموت عليه قائلا:

ـ لم أكذب عليك، لقد فتك وباء الحرب بخمسة آلاف فقط كما قلت لك، أما الخمسة والأربعون ألفا الآخرون فقد ماتوا من الخوف مما سمعوه ورأوه من مآسيها!"

في أزمنتنا الحديثة لم نعد في حاجة لمقابلة ملاك الحرب لنسمع بأنباء قيامها أو متابعة ومشاهدة مآسيها. إذ صار يكفينا فقط أن نحرك جهاز الريموت بين أصابعنا لتقتحمنا رغم أنفنا أشكال وصور يومية مما يحدث في الحروب الدائرة وتجعلنا نشعر وكأننا نعيش الحرب وننفعل معها ونرتعد من فظاعة ما نراه، حتى وإن كنا غير مشاركين فيها لنصبح كأهل المدينة الذين ماتوا من هول سماع مآسي الحرب وكانوا تسعة أضعاف من ماتوا فعليا بسبب القتال!

ضحايا أمام الشاشات!

في الثاني من أغسطس/ آب 2006، أي إبان غزو القوات الإسرائيلية للبنان واشتباك حزب الله معها، أوردت وكالة الأنباء الفرنسية خبرا عن ذلك المدرس التونسي ابن بلدة "قفصة" التي تقع جنوب البلاد الذي ما إن شاهد الصور البشعة للحرب التي بثها التليفزيون عبر الفضائيات عن ضحايا مذبحة "قانا" الثانية حتى أصيب بأزمة قلبية أودت بحياته. ولم تكد رعود قصف لبنان تتوقف حتى نقلت لنا الأنباء أن عالم الوراثة المصري الشهير، الدكتور أحمد مستجير لم يسلم من مشاهدة تلك الحرب على الفضائيات أيضا فقد توفي إثر إصابته بجلطة شديدة في المخ تأثرا بالمشاهد الدامية والمذابح البشعة التي شاهد نتائجها تعرض على شاشة التلفاز. وقد نشر الخبر في كل الصحف المصرية!

مشاهد تتآمر علينا

لقد صرنا نشعر وكأن عالمنا الحديث قد تآمر علينا وعلى نفسه، وأن هذا العالم فقد رشده وارتد إلى عصور ما قبل العقل. إلى

د. محمود عطية*

عصور الغاب. وقام بتحويل كرتنا الأرضية إلى كرة من لهب يتقاذفها بشر فقدوا صوابهم وصاروا لا يعرفون غير لغة الدم النازف ولا تصدر عنهم سوى أصوات الحمقى التي تهدد بقذائف عبر القارات. على وقع موسيقى صوت الرصاص التي يتوارى في صخبها صوت العقل ليتردى العالم ثانية إلى عصور ما قبل الفهم.

لقد صرنا على قناعة تقريبا بأننا نحيا في عالم نسي تجارب تاريخه وما آل إليه بفعل الحروب والصراعات وصار يلتهمه تصور أحادي الرؤية. فلم يعد يرى غير أن معارك الأفكار تحسم بالقتال، وأن اختلافات العقائد تمحى بطلقات المدافع وبالسعي لرسم خرائط دول جديدة وفتح منافذ لنزاعات تتفق كوارثها والطموحات المتجددة في هيمنة البعض على الكل وبالتضحية بكل منجزات الإنسانية وما جاهد بنو البشر طوال تاريخهم لتحقيقه في سبيل إيجاد تعايش أفضل فيما بين الناس وفي سبيل تعميق فهم أفضل يتيح لنا حياة كريمة فوق كوكب ينعم بالسعادة.

صرنا كأننا نحيا في "لوكيشن" حربي خاص أعددناه بأنفسنا.. لنتابع المشهد الدامي بحذافيره من داخل أرض العمليات:

لقطات حية مرعبة من داخل ساحات القتال تقتحم منازلنا بشكل غير مسبوق على مدى التاريخ..

رؤوس تتطاير ومبانٍ تدك وتنهار سريعا بمن فيها وعلى ما فيها..

قذائف تتطاير في لون الوهج النازف في وضح النهار.

جثث مشوهة بلون الدم مبتورة الأذرع تتراص في عرض الشارع فوق الأرصفة..

نشاهدها أمامنا ونراها رأى العين وكأننا معها نعايشها ونحيا فيها..

صرنا نحس حتى بطلقات الرصاص تدوى وتعبر خلف آذاننا فترتعد لها أجسامنا. بتنا غير آمنين حتى داخل حجرات نومنا، رغم أننا مازلنا نعيش حيث اعتدنا في مدننا وبيوتنا وحجرات نومنا وبعيدين آلاف الأميال عن ساحات القتال وطلقات المدافع وأزيز الطائرات وأوامر غرف العمليات الحاسمة..

لكننا نظل نتابع، مشدوهين، ما يجري أمامنا وكأننا معهم ولا ندري ما الذي يتغير فينا حتى يتلبسنا ويحيل نفوسنا إلى جمرة نار مقلقة.. وكأننا كلنا أصبحنا في مرمى النيران..

ونحتاج إلى دعم نفسي ينقذنا من براثن الخوف والرعب مما نراه ويهدد استقرارنا النفسي!!

الأطباق في رؤوسنا

إنها الهوائيات والأطباق متعددة الأحجام والأشكال المعلقة فوق أسطح منازلنا التي انتصبت تتابع وتلتقط من كل حدب وصوب من كرتنا الأرضية ما يدور من قتال وتنقلنا لحظة بلحظة إلى مواقع الأحداث بفعل أجهزة الإعلام العملاقة وفضائياتها التي لا ينام مراسلوها

(*) نائب رئيس تحرير جريدة الأخبار القاهرية

[الصفحة المقابلة]
لوحة «الصرخة»
إدوارد مونش (1863 – 1944)

هل نحن جميعا بحاجة إلى دعم نفسي؟

يا إلهي:
أي عالم هذا الذي
أرى انبلاج فجره؟

أزاموس

ليجوبوا الصخر بالواد حتى أصبحت فضائيات ذات أوتاد، تبث وتنقل لنا ما يجري من مجازر في ساحات القتال إلى داخل حجرات نومنا لنشاهد ونحن مستلقون على ظهورنا أمام شاشات التليفزيون صور الخراب والدمار وقطعا من أجزاء بشرية وأم ثكلى وأب ينظر إلى جثث عائلته ممددة على الأرض بعد أن سكنت أجسادها مئات من الطلقات، وبيوت سويت بالأرض وحدود تنتهك لترتسم داخل حدود دول أخرى، ونعرات اثنية تحيا لتخدم مصالح دول كبرى!!

إنها فضائيات نشاهد عبرها جيوشا تتدافع وضباطا يصدرون ببرود أوامرهم لتتحرك صواريخ عملاقة صوب أهدافها ثم تندفع كالسهام في السماء طائرات حربية ذات أشكال خرافية محلقة ببطنها الحبلى بمئات من القنابل التي تسقطها فوق أجساد المدن النائمة في هدأة ●●●

●●● الليل لتدمر بنياتها الأساسية وتقتلع الأخضر واليابس وتخنق بسمة الوليد وتهلك الزرع وتحيل ليلها إلى نهار قاسٍ..!!

صرنا نتابع بعين رؤوسنا ماكنا نسمع عنه في الأساطير الإغريقية القديمة من مآسٍ يشيب لها الولدان.. فأصبحنا وكأننا على حد تعبير السينمائيين داخل لوكيشن التصوير نفسه.. وحسب تعبير العسكريين داخل مرمى الهدف وفي غرف العمليات وفى عمق الميدان وداخل ساحات النزال.. لقد جرتنا شاشات الفضائيات وموجات الأثير وحتى شبكات الانترنت إلى الاكتواء بنيران الحروب المستعرة شمالا وجنوبا، برا وبحرا، ليلا ونهارا، صيفا وشتاء.

الآثار النفسية

كنا نتخيل إلى وقت قريب أن الاكتواء بنيران الحروب وويلاتها وآثارها النفسية المدمرة تصيب المقاتلين داخل ساحات وميادين العمليات وتنصب على جنود ينفذون مهماتهم القتالية أو حتى على مدن متاخمة لمسرح العمليات وتتأثر بفعل ضربات قتالية تخيف المدنيين القاطنين بها.. لكننا الآن صرنا نعيش بفضل فضائياتنا أيام القتال لحظة بلحظة ونتعرف على نتائج العمليات التي يذيعها المتناحرون وبكل زهو عن عدد القتلى والجرحى والمصابين والمفقودين بفعل ضرباتهم الناجعة ومواصلة عملياتهم حتى تطهير الميدان.. بل إنهم لا ينسون، حتى أن يخبرونا عن عزم قواتهم الاستعانة بمدد آخر بعد موافقة قياداتهم المدنية حتى يتم اقتحام المدن الأخرى.. وعلى المدنيين النجاة بأنفسهم أو بالأحرى بأجسادهم بعيدا عن مرمى النيران.

إنها الحروب وويلاتها التي باتت من أكبر مصادر إصابات البشر النفسية والبدنية وما يسمى في اعتلالات الصحة النفسية "اضطراب الضغوط التالية للصدمة" والمحزن أن اضطرابات الحروب أو آثارها النفسية القاتلة والباعثة على الاكتئاب لم تعد مقصورة على المقاتلين من جنود وضباط فقط.. بل إنها لم تعد تفرق بويلاتها بين العسكريين والمدنيين المسالمين داخل مدنهم الذين عاشوا في أجواء الحروب أو تعرضوا لها أو شاهدوها عبر الفضائيات وتفاعلوا معها وتابعوا قصف المدن وتدمير المنازل والمباني وتشريد النساء والأرامل وما أصابهم من رزايا بفعل الحرب والتي صارت أكبر مصدر لحالات الإعاقة البدنية وفقد الحواس وبتر الأعضاء وإصابات الرأس، وكلها درجة من درجات الابتلاء، كما يبتلى الإنسان في الحرب بنقص في الأنفس والأموال.

وبات معروفا في كتب الطب النفسي أن الخوف والقلق من الحروب وويلاتها تخلف العديد من الآثار النفسية الضارة على البشر أقلها الضيق والكرب واعتلالات نفسية عصية على الحصر بما في ذلك اضطرابات ما بعد الصدمة وهي مجموعة من الأعراض النفسية والعصبية تستدعي رعاية نفسية وعصبية سريعة ولمدد طويلة.. فآلامها لا ترى بالعين ولا ترحم صغيرا أو كبيرا..!!

نزاعات تجتاح العالم بأسره

هناك تقدير يشير إلى نشوب (150) مائة وخمسين حربا منذ عام (1945) وحتى عام (1994)، نتج عنها موت (22) اثنين وعشرين مليون شخص، ويشير أحد التقديرات أن هناك (48) ثماني وأربعين دولة من دول العالم حدثت فيها حروب أو نزاعات داخلية وذلك في العام(1993). وأحد العواقب المترتبة على الحروب ذلك العدد الكبير من اللاجئين والأشخاص الذين وضعوا في مساكن سيئة، ويقدر هؤلاء بثمانية عشر مليونا من الأشخاص.. ويمثل الأطفال والأمهات نسبة تتراوح بين (50٪) و(70) من مجموع اللاجئين في العالم اليوم وبخاصة في دول العالم الثالث.

ولكن كيف الهرب من تلك المشاهد الدامية والإفلات من آثارها النفسية رغم أننا غير مشاركين فيها سوى بالمشاهدة.. هذا ما يحاول تجنبه علماء النفس المرضى تحت ما يسمى علاجات (أعصبة ما بعد الصدمة) وخاصة صدمات الحروب النفسية التي شكلت واقعا جديدا ساعدت فيه الفضائيات بنقلها المشاهد الدامية وجثث الضحايا وصور المجازر الإنسانية البشعة وتمزيق أشلاء المدنيين العزل.. إنها خبرة إنسانية ضاغط لم يكتوِ بها الإنسان وكان يسمع من أفواه العائدين عن صور القتال أو الدمار ويسمع أنباء الهزيمة والنصر.. لكنه الآن يحيا داخل ساحات الوغى ويرى بداية الحروب ونهايتها ويخابر مصارع الرجال وتشريد النساء وقذف رؤوس الأطفال ونهاية مدن ضياع إنسانية الإنسان.

إنها العدوانية وأداتها الحروب وويلاتها التي تعد من ظواهر الحياة الإنسانية يخبرها الفرد في مواقف وأوقات مختلفة من حياته وتخلف وراءها آثارًا نفسية مدمرة باتت من طبيعة الوجود الإنساني ولا نستطيع الإحجام عنها أو الهروب منها لأن ذلك يعني نقص فعاليات الإنسان وقصور كفاءته.. فتعرضنا في أزمنتنا الحديثة لمشاهدة الحرب وكأننا نحياها بالفعل أمر حتمي لا مفر منه.. لكن يبقى كيف التعامل مع صور القتال بلا انفعال..!

جميعنا بحاجة للدعم النفسي

ويسهب محللو السياسة بجانب علماء النفس والطب النفسي في نعت الحروب وويلاتها كأشد أنواع المآسي الإنسانية التي يمكن أن يتعرض لها الإنسان، حيث لا يتورع المعتدي عن ارتكاب المجازر واقتراف كل ما يقدر عليه من محرمات وتدمير وإبادة كل ما يحول دون كسر إرادة الآخر وتعذيبه بشتى الوسائل الإجرامية وتسميم نفسيته وإلحاق الهزيمة به، رغم المعاهدات والمواثيق الدولية التي تقنن المنازعات والحروب وحتى معاملة الأسرى والمدنيين والحفاظ على التراث الإنساني أثناء الحروب..!! ولذلك يعدونها من أقسى وأفظع الخبرات التي يمكن أن يجابهها الفرد وتترك على شخصيته وسلوكه تغيرات حادة ليس من السهل التخلص منها إذا أمكن ذلك دون مساعدة متخصصة...!

وكما لا يوجد تاريخ محدد نعرفه لبداية الحروب بين البشر لا يوجد ـ رغم تنامي الدراسات النفسية على العسكريين المحاربين ـ إحصاء نتعرف منه على مدى انتشار وتأثير الحالات المصابة بالتشوهات النفسية والسلوكيات الشاذة في زمن السلم بين المدنيين خاصة بسبب معايشة أجواء الحرب ولو بالمشاهدة والتفاعل معها وتبني حالات من الخوف والذعر لما يجري وتصوره بأن ما يجري هناك مرشح لأن يجري هنا في بلاد بعيدة عن الحروب وبذلك تخلف نتيجة المشاهدة والمعايشة آثار الحروب صفحتهم النفسية، أو ما يطلق عليه أخصائيو الصحة النفسية والطب النفسي في مجلداتهم الضخمة الفخمة "الأعصبة التالية للصدمة" "Post Traumatic Stress Disorder".

ومع ذلك مازالت تستأثر عينات الجنود المحاربين على غالبية الدراسات التي تبحث في الأثر النفسي للحروب أو ما نسميه اضطرابات الضغوط التالية للصدمة، وما تحتاجه من دعم نفسي. مما جعل معظم ما نعرفه من معلومات عن ذلك النوع من الاضطرابات يأتي من الدراسات التي جرت علي المحاربين. وهو ما يثير تساؤلا حول مشروعية وإمكانية تعميم هذه النتائج على الضحايا المدنيين الذين اكتووا بالعيش في ظل الحروب بأي شكل من الأشكال وبهذا النوع من الاضطراب؟ إلا أنه جرت في السنوات القليلة الماضية مجموعة بحوث على المدنيين من ضحايا صدمات الحروب تناولت عينات من الأطفال الذين شهدوا الحروب، وكان الكثيرون يظنون من قبل أن تأثير الحرب على هذه الفئة وقتي وسرعان ما تسترد براءتها بنهاية الحروب، لكن نتائج البحوث كشفت لنا أن آثار الحروب لا تستثني أحدا، ومن ثم فقد صرنا جميعا بحاجة إلى الدعم النفسي! ●

جنيف انضمام السودان إلى بروتوكولي عام 1977 الإضافيين

رحبت اللجنة الدولية للصليب الأحمر بانضمام جمهورية السودان إلى البروتوكول الإضافي الأول في السابع من مارس/ آذار 2006، والبروتوكول الإضافي الثاني في الثالث عشر من يوليو/ تموز 2006. وتدخل هاتان المعاهدتان حيز التنفيذ بعد ستة أشهر من تاريخ الانضمام إليهما. ويعمل البروتوكولان الإضافيان، اللذان يكملان اتفاقيات جنيف الصادرة في 12 أغسطس/آب 1949، على إعادة تأكيد القانون الدولي الإنساني وتطويره في عدة مجالات. فيفرض البروتوكول الأول المطبق في حالات النزاع المسلح الدولي، قيودا على سير العمليات العسكرية. أما البروتوكول الثاني، المطبق في حالات النزاع المسلح غير الدولي، فيعزز كثيرا من الحماية المكفولة للأشخاص غير المشاركين في الأعمال العدائية أو الذين توقفوا عن المشاركة فيها. كما يشتمل على أحكام خصصت لحماية المدنيين من مخاطر العمليات العسكرية. وينص على وجه الخصوص على وجوب معاملة هؤلاء الأشخاص معاملة إنسانية في جميع الأحوال. كما يضع البروتوكول الثاني قواعد مهمة تحكم معاملة المحتجزين، وضمانات قضائية تنطبق في حالات المقاضاة والمعاقبة على الجرائم التي ترتكب في صلة بالنزاع المسلح. وبانضمام السودان، يصل عدد الدول الأطراف في البروتوكول الإضافي الأول إلى 166 دولة، والبروتوكول الإضافي الثاني إلى 162 دولة ●

شمالي دارفور مقتل موظف باللجنة الدولية

لقي أحد موظفي اللجنة الدولية، وهو مواطن سوداني في 31 من عمره، مصرعه في جبل مرة شمالي دارفور بعد خطفه. وكان الموظف برفقة فريق تابع للجنة أوقفته مجموعة من الرجال المسلحين مجهولي الهوية في 16 أغسطس/آب بعد توزيع الأغذية في المنطقة. وتم إجبار الموظف على قيادة واحدة من سيارتي اللجنة اللتين سرقتا أثناء الحادث. وقد أصيبت اللجنة الدولية بالصدمة لموته الذي يتزامن مع تفاقم الأوضاع الأمنية المتدهورة في دارفور التي أودت بحياة أفراد آخرين يعملون في الحقل الإنساني خلال الأسابيع الأخيرة. وتدين اللجنة الدولية كل الهجمات على العاملين في المجال الإنساني وتذكِّر أطراف النزاع كافة بواجب احترام وحماية الموظفين الذين يشاركون في أعمال الإغاثة بموجب القانون الدولي الإنساني. إذ يتحتم على هذه الأطراف اتخاذ جميع التدابير اللازمة للحفاظ على سلامتهم وضمان حرية تنقُّلِهم. كما يسعى مندوبو اللجنة الدولية العاملون في الفاشر إلى إيجاد المزيد من الإيضاحات بشأن هذا الحادث المأساوي الذي توقفت أنشطة اللجنة الدولية شرقي جبل مرة منذ وقوعه ●

الجزائر

الملتقى الأول لتعليم القانون الدولي الإنساني بالجزائر

بالتعاون مع وزارة التعليم العالي وجامعة الجزائر وكلية الحقوق، نظمت اللجنة الدولية في الثامن والتاسع والعاشر من يوليو/ تموز 2006 أول ملتقى قومي حول تعليم القانون الدولي الإنساني بالجزائر. وقد شهد هذا اللقاء الذي استمر لثلاثة أيام مشاركة أكثر من خمسين أستاذا من كل التخصصات وعدد من طلاب الماجستير. شارك في إدارة الملتقى **نصر الدين مروك** مستشار وزير العدل الجزائري، ونوقش فيه عدد من المواضيع من بينها موضوع المحاكم الجنائية الدولية وقواعد سير العمليات العدائية والحركة الدولية للهلال الأحمر والصليب الأحمر وحماية ضحايا النزاعات المسلحة. وقد أعطى هذا اللقاء زخما إضافيا لتدريس القانون الدولي الإنساني في الجزائر لكونه أفضى إلى الافتتاح المقبل لأول مركز قومي للقانون الدولي الإنساني بكلية حقوق جامعة الجزائر ●

غزة

مساعدات طوارئ ومولدات حرارية لتشغيل مضخات الماء

منحت اللجنة الدولية في 31 أغسطس/ آب ستة مولدات حرارية تزود بالقوة المحركة محطات ضخ المياه في قطاع غزة. وبالتعاون مع الصليب الأحمر النرويجي منحت اللجنة الدولية في أغسطس آب 14 مولدًا حراريًا تتراوح طاقاتها بين 80 كيلوات و410 كيلوات، ويبلغ وزنها 39 طنًا. كما قدمت اللجنة الدولية المساعدات لثلاثمائة عائلة (1800 فرد) خلال شهر أغسطس/ آب فارتفع عدد العائلات التي تلقت المساعدات منذ بداية العمليات العسكرية في نهاية يونيو/حزيران إلى 770 (نحو 4600 فرد). وتواصل اللجنة الدولية دعم الخدمات الطبية للطوارئ والمستشفيات ومراكز الصحة الأولية التي تديرها جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني، فضلا عن تسهيل توصيل الإمدادات الطبية الأساسية إليها ●

الكويت

ندوة حول القانون الإنساني

بتوجيه ورعاية من رئيس جمعية الهلال الأحمر الكويتي، السيد **يرجس حمود البرجس**، وبالتعاون مع البعثة الإقليمية للجنة الدولية للصليب الأحمر لشبه الجزيرة العربية، عقدت في الخامس والسادس من يونيو 2006 ندوة حول القانون الدولي الإنساني بمقر جمعية الهلال الأحمر الكويتي. تضمن برنامج الندوة عرضا للقواعد الأساسية للقانون الدولي الإنساني، ومبادئه، ونطاق تطبيقه، والفئات والأعيان المحمية. وبناء على طلب المشاركين في الندوة، جرى أيضا تقديم عرض موجز تناول التعريف بالحركة الدولية للصليب الأحمر ومكوناتها، والأنشطة التي تقوم بها اللجنة الدولية للصليب الأحمر في مجالات الحماية والمساعدة والتعاون والنشر ●

دمشق

ملتقى الشباب العربي

من منتصف إلى 20 يوليو/ تموز 2006، أقامت منظمة الهلال الأحمر العربي السوري مخيما ترفيهيا بعنوان "ملتقى الشباب العربي" بمدينة بانياس الواقعة على الساحل السوري. شارك بالمخيم حوالي 137 مشاركًا يمثلون مختلف الجمعيات الوطنية للهلال والصليب الأحمر من الإمارات، سوريا، فلسطين، مصر، المملكة السعودية، ايطاليا، البحرين ومن مختلف فروع منظمة الهلال الأحمر العربي السوري في المحافظات السورية. تخلل الملتقى برنامج تدريبي حول الدعم النفسي والإعلام والإسعاف الأولي والبحث عن المفقودين. إضافة إلى محاضرات حول مرض الإيدز والقانون الدولي الإنساني وإدارة المتطوعين بمشاركة من اللجنة الدولية للصليب الأحمر ●

داكار

مقتل مندوبة للجنة الدولية بالسنغال

تعرب اللجنة الدولية عن حزنها الشديد لمقتل واحدة من مندوباتها الميدانيات السيدة **جانيت فورنييه** الأخصائية في الصحة العامة التي ذهبت ضحية حادث وقع في أول سبتمبر/أيلول شمالي غربي "زيغينشور" في منطقة "كازامانس" (السنغال) على طريق تمر منه اللجنة الدولية باستمرار. وكانت المندوبة برفقة ثلاثة زملاء آخرين في مهمة لتقييم احتياجات النازحين بسبب المواجهات المسلحة في المنطقة. داست العربة التي كانت تقلهم لغمًا أو ذخيرة غير منفجرة مما أدى إلى مقتل السيدة **جانيت فورنييه** وجرح زملائها الآخرين. ولم تتوفر لدينا أي معلومات حتى اللحظة عن ملابسات الحادث.

عملت السيدة **جانيت فورنييه** البالغة خمسين عامًا من العمر مع اللجنة الدولية منذ العام 1980 وقامت بمهمات في مختلف البلدان منها تايلاند/كمبوديا وباكستان وزيمبابوي وإندونيسيا.

وتعرب اللجنة الدولية عن أساها العميق كما تتقدم بخالص التعازي إلى أسرة وأصدقاء وزملاء السيدة **جانيت فورنييه** ●

بغداد

تقديم مساعدات الإغاثة إلى العائلات المعوزة

خلال شهر رمضان المبارك، قامت اللجنة الدولية للصليب الأحمر بتوزيع طرود غذائية على العائلات المعوزة في العراق. وقد سلمت إلى عدد من المنظمات الخيرية في البلاد 3660 طردًا يكفي كل طرد منها لتغطية احتياجات عائلة مكونة من خمسة أفراد لمدة شهر واحد. وخصص حوالي نصف هذه الطرود لديواني الوقفين السني والشيعي في بغداد. كما قامت اللجنة الدولية بتسليم سلع الإغاثة إلى النازحين وغيرهم من المحتاجين. ومنذ يونيو/ حزيران الماضي وبالتعاون مع جمعية الهلال الأحمر العراقي، توزع كل شهر على 5000 عائلة مواد الإغاثة منها الطرود الغذائية ومستلزمات النظافة ولوازم المطبخ وصفائح الماء والبطانيات. وستواصل حتى شهر تشرين الثاني/ نوفمبر عمليات التوزيع التي ستستفيد منها 30 000 عائلة ●

ليما

ندوة دولية عن الصحة في سجون أميركا الجنوبية

في الحادي عشر من سبتمبر عقدت ندوة دولية عن الصحة في السجون في ليما (بيرو)، اجتمع فيها لمدة خمسة أيام خبراء ومسؤولون عن الصحة في السجون من الأرجنتين وشيلي وإكوادور وبوليفيا والبرازيل وأوروغواي وبيرو لمناقشة مختلف مشاكل الصحة في السجون. تناولت الندوة مواضيع مختلفة منها العناصر الأساسية التي تسمح بإنشاء نظام للصحة في السجون، وبنية هذا النظام وطريقة عمله وصلاته بنظام الصحة العام، ومراقبة داء السل وانتشار فيروس نقص المناعة المكتسب /الإيدز. ومن المعروف أن عدد الإصابات بأمراض مثل مرض السل في السجون تصل إلى مائة ضعف عددها في صفوف السكان عامة نظرًا إلى اكتظاظ السجون والأماكن المغلقة، وغياب الكشف المبكر للمرض المعدي أو العلاج غير المناسب للمرض ومقاومة الأدوية الناتجة عن ذلك ●

كولومبو

مدنيون يعبرون "الخطوط"

في نهاية أغسطس/ آب الفائت، نظمت بعثة اللجنة الدولية للصليب الأحمر بسريلانكا عبور 243 مدنيًا، منهم 182 سري لانكيًا و61 أجنبيًا، بشكل آمن من "كيلينوتششي" إلى "فافونيا". وقد جرى العبور من الشمال إلى الجنوب بين المناطق الواقعة تحت سيطرة "نمور تحرير تاميل إيلام" والحكومة السري لانكية في "أومانتاي" على بعد 15 كلم شمالي "فافونيا". ونقطة عبور "أومانتاي" هي إحدى نقاط العبور الرسمية المحددة في اتفاق وقف إطلاق النار لعام 2000 الذي أبرم بين الحكومة و"نمور تحرير تاميل إيلام". كما سهلت اللجنة الدولية أيضًا عملية عبور حوالي 1000 مدني من الجنوب إلى الشمال عند نقطة عبور "أومانتاي" ●

بعثات اللجنة الدولية للصليب الأحمر في المنطقة

القاهرة: 31 شارع جدة، حي المهندسين، القاهرة 12311، ج.م.ع
هاتف: 7619332/3379282 (202++) فاكس: 7618487 (202++)
البريد الإلكتروني: cairo.cai@icrc.org
مسؤول الإعلام: **جاسر الشاهد**

عمان: شارع أبو حامد الغزالي – عمان 11191 صندوق بريد 9058
هاتف: 5688645/5688646 (9626++) فاكس: 5688649 (9626++)
البريد الإلكتروني: amman.amm@icrc.org
مسؤول الإعلام: **رباب الرفاعي**

بغداد: (بغداد) العلوية: ص.ب 3317
هاتف: 01922458 (79 964++) فاكس: 846262 (761 873++)
(عمان): ص.ب 9058 عمان 11191 الأردن
هاتف: 5523994 (6 962++) فاكس: 5523954 (6 962++)
البريد الإلكتروني: iraq.iqs@icrc.org
مسؤول الإعلام: **ندى دوماني**

دمشق: أبو رمانة، ساحة الروضة، شارع مصر، بناء الجرد، الطابق الثالث صندوق بريد 3579
هاتف: 3310476/3339034(96311++) فاكس: 3310441 (96311++)
البريد الإلكتروني: damas.dam@icrc.org
مسؤول الإعلام: **رنا المدفعي**

القدس: شارع النبي شعيب رقم (8) شيخ جراح، القدس 91202، صندوق بريد 20253
هاتف: 5828441/5828845/5828802 (9722++) فاكس: 5811375 (9722++)
البريد الإلكتروني: jerusalem.jer@icrc.org
مسؤول الإعلام: **كاسبار لاندولت**

بيروت: بناية عيتاني، شارع السادات، الحمرا، صندوق بريد 7188–11، رياض الصلح
هاتف: 739297/739298/739299(9611++) فاكس: 740087(9611++)
البريد الإلكتروني: beyrouth.bey@icrc.org
مسؤول الإعلام: **كريم المفتي**

الخرطوم: شارع رقم 33 منزل رقم 16 العمارات الامتداد الجديد. صندوق بريد 1831
هاتف: 65/476464 (249183) ++ (خمس خطوط) فاكس: 467709 (249183) ++
البريد الإلكتروني: khartoum.kha@icrc.org
مسؤول الإعلام: **جيسيكا باري**

تونس: المندوبية الإقليمية بتونس، (تغطي أنشطتها: تونس – المغرب – ليبيا – موريتانيا – الصحراء الغربية) رواق البحيرة عمارة 7، نهج بحيرة كنستنس 1053 ضفاف البحيرة
هاتف: 960179/960154/960458 (21671++) فاكس: 960156 (21671++)
البريد الإلكتروني: tunis.tun@icrc.org
مسؤول الإعلام: **محمد بن أحمد**

الجزائر: 18 نهج سويداني بوجمعة 16070. المرادية. الجزائر
هاتف: 82 24 2148 (213++) فاكس: 80 28 2160 (213++)
مسؤول الإعلام: **صدري بن تشيكو**

صنعاء: شارع بغداد، شارع رقم 19، منزل رقم 20 صندوق بريد: 2267
هاتف: 4/467873 / 44 38 21 (9671++) فاكس: 75 78 46 (9671++)
البريد الإلكتروني: sanaa.san@icrc.org
مسؤول الإعلام: **هشام حسن**

الكويت: البعثة الإقليمية لشبه الجزيرة العربية: (تغطي أنشطتها: الكويت، السعودية، الإمارات العربية المتحدة، قطر، البحرين، سلطنة عمان) الجابرية، قطعة 5، شارع رقم 3، منزل رقم 32 صندوق بريد: 28078 – الصفاة 13141
هاتف: 5322061/5322062/5322098 (965++) فاكس: 5324598 (965++)
البريد الإلكتروني: koweit.kow@icrc.org
مسؤول الإعلام: **فؤاد بوابة**

بعثة الصومال: Denis Pritt Road، صندوق بريد: 73226 – 00200 نيروبي، كينيا
هاتف: 5/4/3963 – 9/8/2713367 (25420++) فاكس: 13731 2027 254 ++
البريد الإلكتروني: somalia.sok@icrc.org
مسؤول الإعلام: **بدرام يازدي**

طهران: كميته بين المللي صليب سرخ، 75 تهران – بلوار أفريقا – خيابان تابان شرقي – شماره 98++ 21 8878 5503 فاكس: 98++ 21 8878 3370
البريد الإلكتروني: tehran.teh@icrc.org
مسؤول الإعلام: **فريدريك غوان**

موريتانيا: صندوق بريد: 5116، نواكشوط
هاتف: 38 744 52 222++ فاكس: 97 446 52 222++

آشلي

سحر السعدني*

الرسم : حسين جمعان**

اسمي "آشلي". أنا من الكونغو وعمري 13 عاما. كنت في السابعة عندما تغير كل شيء. لدي أخ يدعى "جي" يكبرني بخمسة أعوام. كنا نعيش بالخارج عندما توفي أبي واضطررنا للعودة إلى الكونغو لحضور الدفن والجنازة. بعدئذ تزوجت أمي من شخص لطيف يدعى "ليو" وكان لديه ولد وبنت: "ستيف" و"لوري". شعرت شعورا غريبا حيال زوج أمي، كنت أغار إلى حدٍ ما وكان لوري كثير الكلام ولكن هذه لم تكن المشكلة. فقد كان جدي لأمي "بولاندو" منخرطا في بعض الأعمال العدائية ضد قبائل أخرى. كنت أتخيل الناس الذين أضر بهم ويا له من شعور سيئ. أشعر بالعار لانتمائي له. إننا لم نكتشف ذلك إلا هذا العام في القاهرة. كنت خائفا جدا، فلدي جد قاتل!.

لقد واجهنا مشاكل بسببه في الكونغو، والآن فقط يمكننا أن نفهم ما حدث.

استاء جدي لأبي وحاول أن يبعدنا عن أمي، فأخذت أمي أربعتنا بعيدا وجاءت بنا هنا إلى القاهرة. وواجه "ليو" أيضا بعض المشاكل، وألقي القبض عليه ولم نره بعد ذلك أبدا. وسمعنا فيما بعد أنه قد مات في السجن.

(*) مسؤولة البحث عن المفقودين.

(**) فنان سوداني مؤسِّس، وأستاذ بكلية الفنون الجميلة بالخرطوم.

بعد عام، تركتنا أمي مع صديق وأخبرتنا أنها مسافرة، خابرتنا بضع مرات ولكنها لم تعد تتصل بنا الآن.

لم نكن وحدنا، كان معنا "موين" و"ماما أنجيلكا" وهي أم "إيه" (صديق أفضل أصدقاء "ستيف" والدة "لوري" المتوفاة). لقد تولوا رعايتنا، ولكنني عندما كنت أنفرد بنفسي في غرفتي كنت أبكي. لقد كنت أفتقد أمي، كنت حزينة وقلقة ولكنني لم أكن أظهر ذلك. كنت أسأل نفسي لماذا تركتنا. كنت أتمنى أن أكون معها.

لم أتحدث أبدا مع "جي" عن الأمر. وفي الشهر الماضي فقط، أخبرتنا "سحر" من اللجنة الدولية للصليب الأحمر عن مرضها. لم أرد أن أصدق أن ذلك حقيقي. وبعد ثلاثة أعوام من رحيلها، ما زلت آمل في عودتها. لم أتمكن من الحنق عليها عندما هجرتنا كل هذا الوقت وشعرت أنه عليّ أن أفكر في المستقبل ولكن حالتي أفضل الآن لمعرفتي أن رحيلها عنا لم يكن بمحض اختيارها.

كنا قصدنا مكتب اللجنة الدولية منذ ثلاثة أعوام مضت. شعرت بالسعادة لتمكني من العثور على عائلتي من جديد. تمكنا من الاتصال بجدتنا في أوروبا وكم أسعدني التحدث إليها بعد كل هذه السنين. كنت أتساءل: متى سأتمكن من الذهاب لرؤيتها؟. كان "جي" هو الوحيد الذي عرفها وطالما كان يغيظني بشأنها. شعرت بسعادة غامرة لتمكني أخيرا من التحدث مع شخص من عائلتي؛

شعرت بالإثارة.

"أندريا"، وهو الشخص الذي كان يعمل قبل "سحر" في اللجنة الدولية، كان لطيفا أيضا، وكان دائما يكتب رسائل إلى السيد "جي" أخي، وكنت دائما ما أضحك وأسأله من هو السيد "جي".

أشعر بالأمان عندما أذهب إلى مكتب اللجنة الدولية حيث يمكنني أن أتحدث وأن أقول أي شيء. فأندريا و"سحر" رائعان. ولقد سعدت حقا عندما عرفت أنهما يقومان بأشياء طيبة للأطفال. "موين" كان دائما يقول لنا أنهما شخصان صالحان. والجميع يرى أن عمل اللجنة الدولية جيد. فكلما ذهبنا إلى هناك نحصل على أخبار طيبة. ونحن نشعر أننا قريبون من "سحر"، فكل ما تعرفه تقوله لنا. لقد وثقنا في اللجنة الدولية منذ البداية، فكل ما يقومون به يناسبنا. لقد قاموا بكل ما نحتاج إليه.

عندما بدأت عملية لم الشمل، كنت شديدة السعادة لأنني سأذهب إلى جدتي. كان "إيمي" في مفوضية شؤون اللاجئين يقول لنا أننا يجب أن نعود إلى جدنا في الكونغو. جن جنوني فلم أكن أريد الذهاب إليه. لم أكن أعرف أي أحد، ولم أرد أن يساء معاملتي من جديد. لم أرد سوى أن أبدأ حياة جديدة مع أفراد عائلتي. لقد استأت كثيرا من المفوضية لأنهم أرادوا أن يرسلونا إلى "بولاندو" وهو قد قتل بعض الناس. ولكني سأكون أخيرا بمأمن مع أسرتي. لا أجد من الكلمات ما يكفي لأعبر عن ذلك.

إن الأمر كما وصفه "جي" هو كالتالي: " كانت لدينا أسرة، كان لدينا منزل، وفي أحد الأيام استيقظنا ولا شيء لدينا، ولكن اللجنة الدولية أعادت إلينا الأمل".

سوف أفتقد الناس هنا، تراتيل الكنيسة ومدرسة الجمعة. أكره أن أترك "موين" وحده وسأفتقد المسرحيات التي قمنا بها في المركز الثقافي الفرنسي ولكنني يجب أن أذهب. "جي" يريد أن يصبح محاميا ويساعد الأطفال في أفريقيا. إنه يلعب على الجيتار وأنا أغني في الكنيسة. لا أعلم حتى الآن ماذا أريد أن أفعل ولكنني لا أريد سوى أن أعيش مع أسرتي وأن أذهب إلى المدرسة لأكتشف ما أريد ●

تعليق من سحر

استيقظت اليوم أبكر من المعتاد، فاليوم هو السابع من الشهر، يوم لا ينسى بالنسبة لأشلي وجي. كنت أنتوي الوصول إلى المكتب قبل موعدي ولكنني لم أتمكن من ذلك بسبب المرور. كذلك كان الجو أبرد من المعتاد. يبدو أن السماء تحاول أن تيسر علينا الأمور. رتبت أن ينقل الأطفال في سيارة لاند كروزر تابعة للجنة الدولية، فهي كبيرة على نحو يسمح لأصدقاء أشلي "موين" و"إيه" و"كريستل" أن يأتوا معنا. كان الصغار شديدي الحزن، وكان "ستيف" شديد الهدوء بينما كان "لوري" غارقا في البكاء. بدا عليهم الحزن الشديد وهم ينظرون من النافذة. كنت أراقبهم طوال الوقت وهم يودعون القاهرة والنيل في الطريق إلى المطار. وعندما وصلنا بدأت "أشلي" في استيعاب الأمر وانسابت أنهار الدموع من عينيها. كان من الجيد أن ذهب أحد العاملين في اللجنة الدولية إلى الداخل وتمكن من إتمام كل الإجراءات نيابة عنهم.

رجعت إلى المكتب حاملة الزهور التي ابتاعوها لي وثلاث بطاقات شكر من "جي" و"أشلي" و"موين" علقت البطاقات على الحائط. سوف تمنحني هذه الكلمات بالتأكيد الدعم عندما أشعر باليأس. لن تفارقني ذكراهم أبدا. وأتمني أن يأتي اليوم الذي تخابرني فيه "آشلي" لتطلعني على ما قررت القيام به وأن يخابرني "جي" ليخبرني بموعد ذهابه لمساعدة أطفال أفريقيا وأن يخبرني "موين" بقبوله في المفوضية أو على الأقل بالنتيجة.

لم تفارق الابتسامة وجهي مع العلم بأنه سيكون عليّ أن أعلم أبوين في الغد بوفاة ابنهما ●

مخلفات الحرب القابلة للانفجار
شريط فيديو جديد

يلقي هذا الفيلم الضوء على التطورات التي طرأت على مسألة مخلفات الحرب القابلة للانفجار، ويهدف إلى رفع مستوى التوعية بأخطارها، وكذلك التوعية بالبروتوكول الجديد الخاص بالمخلفات الذي اعتمدته الدول الأطراف في الاتفاقية المتعلقة بالأسلحة التقليدية في نوفمبر/ تشرين الثاني 2003. ويهدف الفيلم بشكل أساسي إلى أن يكون بمثابة أداة معلوماتية يمكن لمندوبي العمل الإنساني أن يستخدموها في المؤتمرات واللقاءات، كما يهدف أيضا إلى تعزيز فهم البروتوكول بين الحكومات والمنظمات والمؤسسات الأخرى ذات الصلة، ويساعد أيضا على إلقاء الضوء على الدور الهام الذي لعبته الاتفاقية في الحد من آثار النزاعات المسلحة.

"الإخاء"
مجلة الهلال الأحمر الليبي

هذا هو العدد الخامس والثلاثون من مجلة "الإخاء" التي تصدرها جمعية الهلال الأحمر الليبي، ويتضمن معلومات عن أنشطة الجمعية في كل مجالات العمل الإنساني كما يتضمن عرضا لمشاركة الجمعية في اجتماع الدورة الرابعة والثلاثين للهيئة العامة للمنظمة العربية لجمعيات الهلال والصليب الأحمر، وآخر حول ورشة عمل لتنمية العضوية وبرمجة العمل التطوعي. يرأس تحرير هذه المجلة الأستاذ عبد المجيد المهدي المدني.

تطلب المجلة من جمعية الهلال الأحمر الليبي.

ص. ب: 541 بنغازي

"المجلة الدولية": عدد خاص
المحاكم الجنائية الدولية

صدر العدد رقم 861 من المجلة الدولية المخصص لموضوع هام هو المحاكم الجنائية الدولية الذي يتناول هذه المحاكم الدولية والمعولمة منذ إنشاء المحكمتين الخاصتين برواندا ويوغوسلافيا السابقة.

يتضمن العدد حوارا مطولا مع القاضي فيليب كيرش رئيس المحكمة الجنائية الدولية بلاهاي، كما يتضمن عددا من الدراسات بأقلام: روبن جيلب وغوتييه بوس وزهو وينغي وجيمي ويليامسون وإيفو جوسيبوفيا وآن ماري لاروسا.

متوفر بالإنجليزية والفرنسية لدى بعثات اللجنة الدولية.

نشرة أخبار الأراضي الفلسطينية وإسرائيل

صدر هذا العدد من نشرة أخبار الأراضي الفلسطينية وإسرائيل، الذي يتضمن كافة المعلومات حول أنشطة اللجنة الدولية حتى نهاية يوليو 2006. يتضمن هذا العدد رصدا للأوضاع المعيشية للفلسطينيين، وما تعانيه الجماعات الأكثر تضررا من الاحتلال، كما يتضمن عرضا لكيفية استجابة اللجنة الدولية للأوضاع المتأزمة في غزة، إضافة إلى الكثير من الإيضاحات حول مشاريع الدعم الاقتصادي المقدمة للصيادين والمزارعين وأصحاب الأنشطة الأخرى التي تضررت على نحو أضاف إلى حياتهم صعوبات جديدة بفعل النزاع.

تطلب من بعثة اللجنة الدولية في إسرائيل والأراضي الفلسطينية.

دليل جديد للإسعافات الأولية في النزاعات المسلحة

أصدرت اللجنة الدولية للصليب الأحمر مؤخرًا دليلًا جديدًا حول الإسعافات الأولية في النزاعات المسلحة وغيرها من حالات العنف. ويقدم الدليل معلومات محددة وعملية تمكّن عاملي الإسعافات الأولية من العناية بشكل آمن وفعّال بالمتضررين من النزاعات المسلحة وغيرها من حالات العنف مثل الاضطرابات الداخلية. ويكمّل هذا الدليل الدلائل المستخدمة عادة في حالات السلم ويعطي نصائح حول سبل مساعدة المجتمعات المحلية في الاعتماد على أنفسها.

نشرة أخبار العراق

صدر هذا العدد من نشرة أخبار العراق، الذي تنشر فيه بعثة اللجنة الدولية وقائع وحصاد عملها في الفترة الأخيرة بهذا البلد، كتب مندوب اللجنة الدولية في مقدمة النشرة يقول: "إن أحداث العنف اليومية أصبحت لسوء الحظ سمة من سمات الحياة في العراق. وقد تبدو الجهود الإنسانية متواضعة غير أنها تعني الكثير لمن هم بحاجة للمساعدة".

يطلب من بعثات اللجنة الدولية.

Contents

• Good Morning Lebanon !
On the 14th of August, the agreement to cease hostilities in Lebanon came into force. Immediately after the ceasefire was declared, ICRC convoys reached out to cities and villages that had been isolated for two weeks and provided them with essential aid.
By: **Mohamed Seif**, Editor

• Impressive Lebanese Solidarity
I was mostly impressed in Lebanon by the solidarity between persons. I have been told they are used to war, but this is not true, at least when it comes to the Southern population who have not witnessed before such heavy bombardment.
By: **Yves Etienne**, Head of the Assistance Division, ICRC Geneva

• The United Nations and Politicization of Humanitarian Operations: Lebanon is not the last challenge
International organizations that play political and humanitarian roles at the same time, the UN in particular, are not indifferent, but their work is subject to the will of the member states.
By: **Khaled Mansour**, UN Spokesperson, Lebanon

• Still a Believer
International Humanitarian Law and its application is the reflection of human nature: the conflict between good and evil, tolerance and malice, humanity and barbarism.
By: **Osama Damaj**, ICRC Delegate for the Armed Forces, Cairo

• Cluster Bombs and Unexploded Ordnances: A Threat to the Lebanese Population
Long after the end of hostilities, these perfidious weapons continue to threaten, mutilate and randomly kill innocent persons. They also stand in the way of reconstruction and economic development in the post-conflict period.

• That's How Things Are with the Poor, My Child.
Zainab sits motionless on the corner of the bed, leaning on one side. In a low voice, as if talking to herself, she tells about what happened, while her eyes wonder: "Did this really happen?".
By: **Hanady Salman**, Lebanese Journalist

• Discrimination between Victims : Of What Morals Do They Speak?
Victims are victims in the eye of International Humanitarian law. No category can be discriminated against, and they are all entitled to help and support.
By: **Mohamed Seif**

• The Lebanese Red Cross : Saving Lives and Restoring Peoples' Sense of Dignity

• Lebanon: Photos

• Iraq: Messages from an Anonymous Person: Do not Worry. We Are Still Alive !

• Baher Is Dead.
By: **Ahmed Khaled el-Rawi**, ICRC Iraq

The Palestinian Scene: A Humanitarian Reading
How can the eyes of a Palestinian kid assimilate the killing and death scenes to which he/she is exposed almost on a daily basis? What reflections do such scenes have on his/her behavior?
By: **Ehab Bessaiso**, Journalist and Professor of Media Studies, UK

• The Abuja Agreement: A Step towards Resolving the Conflict in Darfur
Darfur is still suffering a humanitarian crisis despite the arrived-at Abuja Agreement.
By: **Abdullah Adam Khater**, Political Analyst, Sudan

• The Somali War Drama and Reproduction of Humanitarian Tragedies
Throughout years of struggle, more than one fifth of the Somali population sought refuge in neighboring countries, around half a million Somalis were internally displaced and over a million killed.
By: **Sayed Awad Othman**, Specialist in Africa Affairs

• Perpetuating Forced Disappearance: A Shameful Act

• Qana Times

• Do We All Need Psychological Help?
Military personnel and civilians have been suffering alike from the horrors of war. This applies to those who are directly exposed to war and also to those who merely follow it through Satellite channels. All suffer as a result acute long-lasting pain.
By: **Mahmoud Attia**, Professor of Psychology, Cairo

• Around the World

• Without Retouches: Ashley.
By: **Sahar el-Sa'dni**, ICRC Cairo

• Publications

Editorial

The Middle East: Complicated Humanitarian Files

On the 12th of July, another wave of violence swept across the Middle East when a war broke out and most parts of Lebanon and Northern Israel were heavily shelled and bombed throughout 30 breathtaking days.

In Lebanon, the International Committee of the Red Cross (ICRC) joined hands with the Lebanese Red Cross, a heroic organization, in an attempt to reach out to displaced persons, and provide them with means of subsistence. Immediately after the ceasefire, ICRC convoys moved to south Lebanon's cities and villages to distribute aid and rehabilitate hospitals, power stations and water systems.

Although active hostilities have stopped, what happened in Lebanon will have long term impact. Wounds are deepening in a region already injured in most of its parts: Palestine, Iraq, Somalia, Sudan, Afghanistan, and now Lebanon. Moreover, many expect this region to witness new crises and conflicts in the future, thus injuring it even more.

In Iraq, for example, the number of Iraqis killed since March 2003 is terrifying. And even if the figures are not always accurate, the scope of the catastrophe in Iraq is undeniable. Extensive round-the-clock brutalities and sad stories fill peoples' lives. Iraq has become an ever-bleeding wound refusing to heal. It has become a horrifying nightmare.

In the middle of those crises, humanitarian and human rights' workers face obstacles that prevent them from reaching the worse-affected and the most vulnerable. These obstacles, often the outcome of intricate national, regional and international circumstances stand in the way of humanitarian solutions. They make all human beings feel helpless.

Some question the impact of humanitarian work and wonder if it can resist the consistent efforts made to paralyze it. To them, humanitarian work is as helpless as the victims of conflict.

Undoubtedly, proponents of this opinion base their views on our harsh reality. Humanitarian workers, however, have a different point of view. They are in constant search of light in the dark: this is what motivates them to reach out to victims and to vulnerable persons.

This is what they are concerned with, and what they have been continuously working on. This is their way to deal with their highly complicated humanitarian files.

"Al-Insani"

كيف تغذي الكراهية؟

مشهد من فيلم تحريك بعنوان: «كيف تغذي الكراهية؟»، من إنتاج اللجنة الدولية للصليب الأحمر

خذ أعداءك واسجنهم دون محاكمة عادلة

اعزلهم عن أسرهم، وضعهم في ظروف معيشية لا إنسانية، وأضف بعض صنوف المعاملة السيئة

دع الكراهية تتجذر وتنتشر، وسرعان ما ستعم كل مكان

المعاملة السيئة تغذي الكراهية

تحظر اتفاقيات جنيف
إلحاق صنوف المعاملة السيئة بالأسرى في زمن الحرب